النفي المتعلق بصفات الله الوارد في كتاب الله

(دراسة نظرية تطبيقية)

دكتور/ حمد بن عبدالمحسن التويجري
الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية أصول الدين- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

القسم الأول

الجانب النظري

المبحث الأول: مفهوم النفي:

قال ابن فارس: "النون، والفاء، والحرف المعتل، أصل يدل على تعرية شيء من شيء وإبعاده منه، ونفيت الشيء أنفيه نفياً، وانتفى هو انتفاء"(١).

والنفي يأتي بمعنى: الطرد، والتنحّي، والإبعاد، والتبري، والجحد.

يقال: نفيت الرجل أنفيه نفياً إذا طردته. ونفي الشيء ينفي نفياً، أي: تنحى.

ونفيته أنفيه نفياً إذا أبعدته. ونفى ابنه وانتفى منه إذا تبرأ منه وجحده(٢).

والنفي عند النحاة جاء بصيغ متعددة:

يعرفه الجرجاني بأنه "عبارة عن الإخبار بترك الفعل"(٣).

ويعرفه أحد المعاصرين – مهدي المخزومي – بقوله: "النفي أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول، وهو أسلوب نقض وإنكار، يستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب"(٤).

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤٥٦/٥).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٤٧٥/١٥)، لسان العرب (٣٣٦/١٥)، القاموس المحيط (ص ١٧٢٦).

(٣) التعريفات (ص ٣١٤).

(٤) في النحو العربي نقد وتوجيه (ص ٢٤٦).

وفي المعاجم ورد تعريف النفي:

"هو الجحد والإنكار، وضد الإثبات، والكلام المنفي هو غير المثبت، أي الذي دخلت عليه إحدى أدوات النفي"(٥).

"النفي مقابل الإثبات والإيجاب"(٦).

"سلب الحكم عن الشيء بأداة نافية"(٧).

"النفي خلاف الإثبات، وهو من الحالات التي تلحق المعاني المتكاملة المفهومة من الجمل التامة والتعبيرات الكاملة، وكل معنى يلحقه النفي يسمى منفيًّا، فإذا لحق الفعل قيل: فعل منفي، وإذا لحق الكلام، قيل: كلام منفي"(٨).

وعلى هذا فإن النفي يأتي في مقابل الإثبات، سواء كان هذا النفي صريحاً بأدوات النفي – الآتي ذكرها – أو غير صريح، بحيث يفهم من سياق الكلام.

وبناء على هذا فإن النفي الوارد في صفات الله، هو تنزيه الله سبحانه وتعالى عن صفة لا تليق به تعالى وتقدس.

والأصل في المنفي أن يلي حرف النفي مباشرة(٩).

* * *

(٥) المعجم المفصل في اللغة والأدب (١٢٦٠/٢).

(٦) محيط المحيط (ص ٩١٠).

(٧) الخليل معجم مصطلحات النحو العربي (ص ٤٥٨).

(٨) معجم المصطلحات النحوية والصرفية (ص ٢٢٧).

(٩) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣٧٧/٢).

المبحث الثاني: أدوات النفي:

يذكر النحاة أن أدوات النفي هي:ليس، ما، لا، لات، إنْ، لنْ، لمْ، لما(١٠).

وقد قسم أهل اللغة هذه الأدوات إلى أقسام بناء على زمن النفي وفق الأغلب الأعم(١١).

القسم الأول: النفي في الحال، الدال على مطلق النفي.

وأدواته: لا، ليس، ما، إنْ، لات.

فـ (لا) مثلاً تدخل غالباً على المضارع، فهي تدل في النفي على مطلق الزمن، كقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٨].

و(ليس) كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [آل عمران: ١٨٢].

و(ما) كقوله تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦].

القسم الثاني: النفي في الماضي:

وأدواته: (لم، لما).

فـ (لم) من علامات المضارع، والمضارع يدل على الحال والاستقبال، وإذا دخلت عليه (لم) فالمنفي بها يكون انتفاؤه منقطعاً، وتارة يكون متصلاً بالحال، وتارة يكون مستمرًّا أبداً، نحو قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤].

---

(١٠) انظر: المعجم المفصل في اللغة والأدب (١٢٦٠/٢٠)، معجم المصطلحات النحوية (ص ٢٢٧).

(١١) انظر: أساليب النفي (ص ١٨ – ١٢٦).

وقوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١].

وقوله: ﴿ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ [الإسراء: ١١١].

القسم الثالث: النفي في المستقبل.

وأدواته: (لن).

المبحث الثالث: شرط صحة النفي:

اختلف في شرط صحة النفي عن الشيء، هل هو لجواز اتصاف المنفي عنه بهذا الشيء المنفي عنه، أم عدم إمكانه؟

يقول السيوطي: "زعم بعضهم أن شرط صحة النفي عن الشيء: صحة اتصاف المنفي عنه بذلك الشيء، وهو مردود بقوله تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٢]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤]. وقوله: ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ونظائره.

والصواب: أن انتفاء الشيء عن الشيء قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلاً، وقد يكون لكونه لا يقع منه مع إمكانه"(١٢).

(١٢) الإتقان للسيوطي (٢/١٠٠)، البرهان للزركشي (٢/٣٧٦).

المبحث الرابع: أنواع التوحيد القولي:

القسم الأول: السلبي، أي نفي النقائص والعيوب عن الله، وقسَّم ابن القيِّم السلب إلى قسمين:

١ – سلب المتصل، ضابطه: نفي كل ما يناقض صفة من صفات الكمال التي وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم، كنفي الموت المنافي للحياة، والعجز المنافي للقدرة، والسِّنة والنوم المنافي لكمال القيُّومية.

٢ – سلب المنفصل، وضابطه: تنزيه الله عن أن يشاركه أحد من الخلق في شيء من خصائصه التي لا تنبغي إلا له، كنفي الشريك له في ربوبيته، فإنه متفـرِّد بـتمام المُلك والقوة والتدبير، وفي إلهيته فهو وحده الذي يجب أن يألِّهه الخلـق ويفردوه بكل أنواع العبادة والتعظيم، وفي أسمائه الحسنى وصفاته العليا فليس لغيره من المخلوقين شركة معه سبحانه في شيء منها.

قال ابن القيم في كافيته – النونية – :

فـالأول القولـي ذو نوعـين أيـ ـضاً فـي كـتاب الله موجـودان
إحـداهما سـلب وذا نـوعان أيـ ـضاً فـيه حقـاً فـيه مذكـوران
سـلب الـنقائص والعـيوب جميعها عـنه هـمـا نـوعان معقـولان
سـلب لمتـصل ومنفـصل همـا نـوعان معـروفان أمـا الثانـي
وكـذلك سـلب الـزوج والولد الذي نـسبوا إلـيه عابـد الـصلبان
سـلب الشريك مع الظهيرمع الشفيع بـدون إذن الخالـق الـديان
وكـذلك نفـي الكفـؤ أيضاً والولي لـنا سـوى الـرحمن ذي الغفـران
والأول التنـزيه للـرحمن عـن وصـف العـيوب وكـل ذي نقـصان
كالمـوت والإعـياء والـتعب الذي ينفـي اقـتدار الخالـق الـديان
والـنوم والـسنة التـي هـي أصله وعـزوب شـيء عـنه فـي الأكوان
وكـذلك العـبث الـذي تنفـيه حكـ ـمـته وحمـد الله ذي الإتقـان

وكـذاك تـرك الخلـق إهمالاً سدى		لا يبعـثون إلـى معـاد ثـان

كـلا ولا أمـر ولا نهـي علـيـ		ـهم مـن إلـه قـادر ديـان

وكـذاك ظلـم عـباده وهـو الغني		فمـا لـه والظلـم للإنـسان

وكـذاك غفلـته تعالـى وهـو علاَّ		م الغـيوب فظاهـر الـبطلان

وكـذاك النـسيان جـلّ إلهـنا		لا يعتـريه قـط مـن نـسيان

وكـذاك حاجـته إلـى طعـم ورز		ق وهـو رزّاق بـلا حـسبان(١٣)

*		*		*

(١٣) انظر: النونية مع شرح هراس (٢/٥٦ – ٦٣)، وشرح ابن عيسى (٢/٢٠٩ – ٢١٣).

المبحث الخامس: منهج القرآن في النفي والإثبات الوارد في صفات الله تعالى:

إن منهج القرآن فيما يتعلق بالنفي والإثبات الوارد في صفات الله على وجه الإجمال: الإثبات المفصل، والنفي المجمل، فقد جاء القرآن بإثبات ما يستحقه سبحانه من صفات الكمال على وجه التفصيل، ونفي ما ينزه عنه سبحانه من صفات النقص على وجه الإجمال.

قال شيخ الإسلام: "والله سبحانه بعث رسله بإثبات مفصل ونفي مجمل، فأثبتوا له الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل"(١٤).

ومعنى التفصيل: "التعيين والتخصيص"، والإجمال :"التعميم والإطلاق"(١٥).

وقال أيضاً: "من أبلغ العلوم الضرورية: أن الطريقة التي بعث الله بها أنبياءه ورسله، وأنزل بها كتبه، مشتملة على الإثبات المفصل والنفي المجمل"(١٦).

لكن قد يأتي النفي مفصلاً، كقوله سبحانه:﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقوله: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]. وقوله:﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨]. ونحو ذلك. وهذا النوع من النفي الوارد في صفات الله نفي غير محض، وهو ما تضمن صفة ثبوتية. وذلك أن النفي المحض لا مدح فيه ولا كمال.

قال شيخ الإسلام: "وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال، إلا إذا تضمن إثباتاً، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال؛ لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء هو كما قيل ليس

(١٤) التدمرية (ص ١٨).
(١٥) شرح التدمرية (ص ٦٨).
(١٦) الفتاوى الكبرى (٣٣٧/٦).

بشيء، فضلاً أن يكون مدحاً أو كمالاً. ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال"(١٧).

وذكر أن كل نفي لا يستلزم ثبوتاً هو مما لم يصف الله به نفسه(١٨).

إذن هناك قاعدة عامة، وهي: أن كل نفي ورد في صفات الله فلا بد أن يتضمن كمالاً، وهذا الكمال يستلزم ثبوتاً.

قال ابن القيم مقرراً ذلك: "إنه سبحانه وصف نفسه بأنه ليس كمثله شيء، وأنه لا سمي له، ولا كفؤ له، وهذا يستلزم وصفه بصفات الكمال التي فات بها شبه المخلوقين، واستحق بقيامها به أن يكون (ليس كمثله شيء)، ولو كان مسلوب الصفات، والأفعال والكلام والاستواء والوجه واليدين، ومنفياً عنه مباينة العالم ومحايثته... لكان كل عدم مثلاً له في ذلك، فيكون قد نفى عن نفسه مشابهة الموجودات، وأثبت لها مماثلة المعدومات، فهذا النفي واقع على أكمل الموجودات وعلى العدم المحض، فإن العدم المحض لا مثل له ولا كفؤ ولا سمي، فلو كان المراد بهذا نفي صفاته وأفعاله واستوائه على عرشه، وتكلمه بالوحي، وتكليمه لمن شاء من خلقه، لكان ذلك وصفاً له بغاية العدم، فهذا النفي واقع على العدم المحض، والعدم المحض لا يمدح به أحد، ولا يثنى به عليه، ولا يكون كمالاً له، بل هو أنقص النقص، وإنما يكون كمالاً إذا تضمن الإثبات"(١٩).

وعلى هذا فكل ما نفاه الله عن نفسه، فإنما هو لإثبات كمال ضده.

يقول ابن القيم موضّحاً ذلك: "إن الله سبحانه إنما نفى عن نفسه ما يناقض الإثبات، ويضاد ثبوت الصفات، والأفعال، فلم ينفِ إلا أمراً عدميًّا، أو ما يستلزم العدم، فنفي السِّنة والنوم، المستلزم لعدم كمال الحياة والقيُّومية، ونفي العزوب والخفاء، المستلزم لنفي كمال العلم، ونفي اللغوب، المستلزم نفي كمال

---

(١٧) التدمرية (ص ٥٧ – ٥٨).

(١٨) المصدر السابق (ص ٥٩).

(١٩) الصواعق المرسلة (١٠١٩/٣ – ١٠٢٢).

القدرة، ونفي الظلم، المستلزم لنفي كمال الغنى والعدل...، وإذا كان إنما نفى عن نفسه العدم أو ما يستلزم العدم، علم أنه أحق بكل وجود وثبوت، وكل أمر وجودي لا يستلزم عدماً ولا نقصاً ولا عيباً، وهذا هو الذي دل عليه صريح العقل"(٢٠).

ولهذا فإنما يصف الله نفسه بصفات التنزيه لا السلبية العدمية لتضمُّنها أموراً وجودية تكون كمالاً يمتدح سبحانه به(٢١).

فالنفي المستعمل في حق الله هو ما تضمن معناه الدلالة على معاني وجوديَّة كماليَّة تليق بجلال الله وعظمته(٢٢).

ونقل ابن القيم عن شيخ الإسلام أنه ذكر أن المدح يكون بالأوصاف الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به، وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمراً وجوديًّا كتمدُّحه بنفي السِّنة والنوم المتضمن كمال القيومية...، وذكر أن الله لم يتمدَّح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتيًّا، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه"(٢٣).

* * *

(٢٠) المصدر السابق (٣/١٠٢٣ – ١٠٢٤).
(٢١) انظر: جواب أهل العلم والإيمان (ص ١٤٠).
(٢٢) المصدر السابق (ص ١٠٧).
(٢٣) حادي الأرواح (ص ٢٠٢).

المبحث السادس:منهج أهل البدع في النفي والإثبات المتعلق بصفات الله تعالى:

سلَك أهل البدع مسلكاً مُخالفاً تماماً لمنهج القرآن فيما يتعلق بالنفي والإثبات الوارد في صفات الله، وذلك أنهم أجملوا في الإثبات، وفصَّلوا في النفي. كما أن غالب النفي الذي أطلقوه في حق الله تعالى من النفي المحض (الذي لا يتضمن ثبوتاً).

فإذا أرادوا أن يصفوا الله قالوا: "ليس بجسم ولا شبح، ولا جثة، ولا صورة، ولا لحم، ولا دم، ولا شخص، ولا جوهر، ولا عرض، ولا بذي لون، ولا طعم، ولا رائحة، ولا مجسة، ولا بذي حرارة، ولا برودة، ولا رطوبة، ولا يبوسة، ولا طول، ولا عرض، ولا عمق، ولا اجتماع، ولا افتراق، ولا يتحرك، ولا يسكن، ولا يتبعَّض، وليس بذي أبعاض، وأجزاء وجوارح وأعضاء، وليس بذي جهات، ولا بذي يمين، ولا شمال وأمام وخلف وفوق وتحت، ولا يحيط به مكان، ولا يجري عليه زمان، ولا يجوز عليه المماسة ولا العزلة، ولا الحلول في الأماكن، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدوثهم، ولا يوصف بأنه متناهٍ، ولا يوصف بمساحة ولا ذهاب في الجهات، وليس بمحدود، ولا والد ولا مولود، ولا تحيط به الأقدار، ولا تحجبه الأستار"(٢٤).

قال شارح الطحاوية – تعليقاً على هذا – : "وهذا النفي المجرد مع كونه لا مدح فيه، فيه إساءة أدب، فإنك لو قلت للسلطان: أنت لست بزبال، ولا كساح، ولا حجام، ولا حائك! لأدبك على هذا الوصف وإن كنت صادقاً، وإنما تكون مادحاً إذا أجملت النفي، فقلت: أنت لست مثل أحد من رعيتك، أنت أعلى منهم وأشرف وأجل، فإذا جملت في النفي، أجملت في الأدب"(٢٥).

إذن هذه الطريقة قائمة على النفي المحض والسلب التام، والنفي المحض عدم محض ليس فيه شيء من الكمال حتى يكون مدحاً يوصف الله به(٢٦).

---

(٢٤) مقالات الإسلاميين (ص ١٥٥ – ١٥٦).

(٢٥) شرح الطحاوية (٧٠/١).

(٢٦) الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل (ص ٢٣٢).

القسم الثاني

الجانب التطبيقي

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ . [البقرة: ٢٦].

ومما ورد في معناها قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

المراد بالحياء:

الحياء في اللغة: ذكر ابن فارس أن الحاء والياء والحرف المعتل أصلان: أحدهما خلاف الموت، والآخر الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة(٢٧).

قال أبو البقاء: "الحياء بالمد: الحشمة. وذكر أنه انقباض النفس عن القبيح مخافة اللوم، وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجرأة على القبائح وعدم المبالاة بها، والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقاً"(٢٨).

وقال المناوي: "الحياء: انقباض النفس عن عادة انبساطها في ظاهر البدن لمواجهة ما تراه نقصاً...، وقيل: انقباض النفس عن شيء حذراً من الملام"(٢٩).

وقيل معنى الحياء: "تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويذم. واشتقاقه من الحياة، وهي حالة تحصل للإنسان، ولكن لها مبدأ ومنتهى، أما المبدأ فهو التغير الجسماني الذي يلحق الإنسان من خوف أن ينسب إليه القبيح، وأما النهاية فهو أن يترك الإنسان ذلك الفعل"(٣٠).

هذا مفهوم الحياء المنسوب للمخلوق.

---

(٢٧) معجم مقاييس اللغة (١٢٢/٢).

(٢٨) الكليات (ص ٤٠٤).

(٢٩) التوقيف على مهمات التعاريف (ص ٣٠٢). وانظر: الصحاح(٢٣٢٤/٦)، تاج العروس (٣٥٩/١٩).

(٣٠) اللباب في علوم الكتاب (٤٦٠/١ – ٤٦١)، وانظر: تفسير الخازن (٣٣/١)،زاد المسير(٥٤/١)، تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب (١٢٤/٢ – ١٢٦)، النكتب والعيون – تفسير الماوردي – (٨٧/١)، تفسير العز بن عبدالسلام (١١٠/١).

أما المنسوب لله فهو على الوجه اللائق به سبحانه، فلا يماثل صفة المخلوق بوجه من الوجوه، كسائر ما وصف به نفسه.

*** معنى الآية ودلالة منطوقها:**

ذكر الطبري أن ذلك إخبار منه سبحانه أنه لا يستحي أن يضرب في الحق من الأمثال صغيرها وكبيرها، ابتلاء لعباده، واختباراً منه لهم ليميز به أهل الإيمان والتصديق به من أهل الضلال والكفر به، ثم بين أن معنى "لا يستحي" أي لا يخشى أن يضرب مثلاً، واستشهد على ذلك بقوله: ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. ومعنى ذلك: وتستحي الناس والله أحق أن تستحيه، فالاستحياء بمعنى الخشية، والخشية بمعنى الاستيحاء(٣١).

فالإمام الطبري هنا فسر الحياء ببعض لوازمه وثمراته.

وقال ابن عطية: "واختلف المتأولون في معنى (يستحي) في هذه الآية، فرجَّح الطبري أن معناه: يخشى، وقال غيره: معناه يترك، وهذا أولى، ومن قال: يمتنع، أو يمنعه الحياء فهو يترك، أو قريب منه. ولما كان جليل القدر في الشاهد لا يمنعه من الخوض في نازل القول إلا الحياء من ذلك، رد الله بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ ﴾ على القائلين: كيف يضرب الله مثلاً بالذباب ونحوه؟ أي أن هذه الأشياء ليست من نازل القول، إذ هي من الفصيح في المعنى المبلغ أغراض المتكلم إلى نفس السامع، فليست مما يستحى منه"(٣٢).

وقال الواحدي: "قال أهل المعاني: قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ ﴾ خرج على لفظهم حيث قالوا: إن الله يستحي أن يضرب المثل بالذباب والعنكبوت. فرد الله عليهم بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ ﴾ ...، وقال بعضهم: معنى

---

(٣١) تفسير الطبري – جامع البيان – (١/١٧٨) بتصرف.

(٣٢) المحرر الوجيز (١/٢١٢)، وانظر: تفسير البغوي – معالم التنزيل (١/٧٦)، تفسير الثعالبي (١/٢٠٢)، تفسير الماوردي – النكت والعيون – (١/٨٧)، تفسير القرآن للعز بن عبدالسلام (١/١١٠)، زاد المسير (١/٥٤).

قوله: ﴿ لَا يَسْتَحْيِۦٓ ﴾ هو الذي يستحيا منه يكون قبيحاً في نفسه، ويكون لفاعله عيب في فعله، فأخبر الله: أن ضرب المثل منه ببعوضة فما فوقها ليس بقبيح، ولا نقص، ولا عيب، حتى يستحيا منه، وقيل معنى قوله: ﴿ لَا يَسْتَحْيِۦٓ ﴾ لا يترك، لأن أحدنا إذا استحى من شيء تركه، ومعناه: أن الله لا يترك ضرب المثل ببعوضة فما فوقها إذا علم أن فيه عبرة لمن اعتبر، وحجة لمن جحده"(٣٣).

وقال أبو حيان: "واختلف المفسرون في معنى الاستحياء المنسوب إلى الله نفيه، فقيل المعنى لا يترك، فعبر بالحياء عن الترك، قاله الزمخشري وغيره؛ لأن الترك من ثمرات الحياء، لأن الإنسان إذا استحيا من فعل شيء تركه، فيكون من باب تسمية المسبب باسم السبب، وقيل المعنى لا يخشى، وسميت الخشية حياء لأنها من ثمراته، ورجحه الطبري، وقيل المعنى لا يمتنع، وكل هذه الأقوال متقاربة من حيث المعنى، يجوز أن يوصف الله بها،... وقيل ينبغي أن تمر كما جاءت، ونؤمن بها ولا نتأوّلها ونَكِل علمها إليه تعالى"(٣٤).

وعلى كل حال فإن جميع هذه المعاني المذكورة لا يمنع أن تكون تفسيراً للفظ ببعض لوازمه وثمراته، ومدلولاته، وهذا سائغ عند السلف، يقول شيخ الإسلام: "إن من عادة السلف في تفسيرهم أن يذكروا بعض صفات المفسَّر من الأسماء أو بعض أنواعه، ولا ينافي ذلك ثبوت بقية الصفات للمسمى بل قد يكونان متلازمين"(٣٥).

وقال ابن القيم: "عادة السلف أن يذكر أحدهم في تفسير اللفظة بعض معانيها، أو لازماً من لوازمها، أو الغاية المقصودة منها، أو مثالاً ينبّه السامع على نظيره، وهذا كثير في كلامهم لمن تأمله"(٣٦).

---

(٣٣) الوسيط (١٠٧/١).
(٣٤) البحر المحيط (٢٦٤/١ – ٢٦٦).
(٣٥) الفتاوى (٣٩٠/٦).
(٣٦) مختصر الصواعق (١٩٩/٢).

إذن فمنطوق الآية يدل على أن الله لا يستحي أن يضرب هذه الأمثلة وإن كانت صغيرة وحقيرة في أعينكم، كما أنه سبحانه لا يستحي من الحق مهما كان.

أما مفهومها، والكمال الذي تضمنه هذا النفي، فهو إثبات صفة الحياء لله سبحانه وتعالى على الوجه اللائق به جل وعلا. فإذا نفى عن نفسه أنه لا يستحي من هذا الأمر فقد تضمن هذا النفي إثبات كمال الضد، وهو الحياء اللائق بالله تعالى الذي لا يماثل حياء المخلوق بوجه من الوجوه.

وقد ورد إثبات هذه الصفة لله في صريح وصحيح السنة في أحاديث كثيرة، منها:

حديث: "إن ربكم تبارك وتعالى حييٌّ كريمٌ يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردّهما صِفرا"(٣٧).

وحديث: "... وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه"(٣٨).

وحديث: "إن الله حييٌّ يحب الحياء، وستِّيرٌ يُحبُّ الستّر"(٣٩).

وحديث: "إن الله لا يستحي من الحق"(٤٠).

---

(٣٧) رواه أبو داود (١٦٥/١) رقم ١٤٨٨، كتاب الصلاة، باب الدعاء، والترمذي (٥٥٦/٥) رقم ٣٥٥٦، كتاب الدعوات باب ١٠٥، وابن ماجة (١٢٧١/٢) رقم ٣٨٦٥، كتاب الدعاء، باب رفع اليدين في الدعاء، والإمام أحمد (٤٣٨/٥)، وعبدالرزاق في مصنفه (٢٥١/٢) رقم ٣٢٥٠، وابن حبان في صحيحه (ص ٥٩٦) رقم ٢٣٩٩، والطبراني في الكبير (٣١٤/٦)، وفي كتاب الدعاء (٨٧٧/٢) رقم٢٠٢، والحاكم في المستدرك (٤٩٧/١) وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وجوَّد ابن حجر إسناده كما في الفتح (١٤٣/١١).

(٣٨) رواه البخاري (١٥٦/١) رقم ٦٦، كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، ومسلم (١٧١٣/٤) رقم ٢١٧٦، كتاب السلام، باب من أتى مجلساً فوجد فُرجة فجلس فيها.

(٣٩) رواه عبدالرزاق في مصنفه (٢٨٨/١) رقم ١١١١، والبيهقي في الكبرى (١٩٨/١).

(٤٠) رواه الإمام أحمد (٢١٤/٥) (٣٧٧/٦)، وسعيد بن منصور في سننه (٨٦٢/٣)، والدارمي في سننه (٢١٤/١).

وممن أثبت صفة "الحياء" من السلف: أبو الحسن محمد بن عبدالملك الكرجي، كما نقل ذلك شيخ الإسلام، وأقره على ذلك(٤١).

وقال ابن القيم في نونيته:

وهـو الحيـي فليس يفضح عبده عـند التجاهـر مـنه بالعـصيان

لكـنه يلقـي عليـه سـتره فهوالـستير وصـاحب الغفـران(٤٢)

يقول محمد خليل هراس تعليقاً على ذلك: "وحياؤه تعالى وصف يليق به، ليس كحياء المخلوقين، الذي هو تغيُّر وانكسار يعتري الشخص عند خوف ما يُعاب ويُذم، بل هو ترك ما ليس يتناسب مع سِعة رحمته وكمال وجوده وكرمه وعظيم عفوه وحلمه، فالعبد يجاهر بالمعصية مع أنه أفقر شيء إليه وأضعف لديه...، ولكن الرب سبحانه مع كمال غِناه وتمام قدرته عليه يستحي من هتك ستره وفضيحته، فيستره بما يهيئوه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه ويغفر. اهـ"(٤٣).

* * *

(٤١) انظر: الفتاوى (٤/١٨١).

(٤٢) النونية (٢/٨٠) – مع شرح هراس – .

(٤٣) المصدر السابق (٢/٨٠).

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤].

ومما ورد في معناها:

قوله تعالى: ﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥].

وقوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٠].

وقوله: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وقوله: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٩].

وقوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران:٩٩].

وقوله: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

وقوله: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٢٣].

وقوله: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩٣].

معنى الغفلة :

أغفلت الشيء: تركته غفلاً وأنت له ذاكر(٤٤).

قال ابن فارس: "غفل: الغين والفاء واللام أصل صحيح يدل على ترك الشيء سهواً، وربما كان عن عمد، من ذلك: غفلت عن الشيء غفلة وغفولاً، وذلك إذا تركته ساهياً. وأغفلته إذا تركته على ذكر منك له"(٤٥).

وقال الأزهري: "غفل: قال الليث: أغفلت الشيء: تركته غَفَلاً وأنت له ذاكر، قال: غفل عن الشيء يغفل غفلة وغفولاً، والتغافل: التعمد..." (٤٦).

معنى الآية ودلالة منطوقها:

قال الطبري: "وما الله بغافل يا معشر المكذبين بآياته... وأصل الغفلة عن الشيء تركه على وجه السهو عنه والنسيان له، فأخبرهم تعالى أنه غير غافل عن أفعالهم الخبيثة، ولا ساهٍ عنها، بل هو لها محصٍ ولها حافظ"(٤٧).

وقال الرازي:"المعنى أن الله تعالى بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم، وحافظ لأعمالهم محصٍ لها، فهو يجازيهم بها في الدنيا والآخرة،وهي كقوله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم:٦٤]، فإن قيل: هل يصح أن يوصف الله بأنه ليس بغافل؟ قلنا: قال القاضي: لا يصح لأنه يوهم جواز الغفلة عليه، وليس الأمر كذلك، لأن نفي الصفة عن الشيء لا يستلزم ثبوت صحتها عليه،بدليل﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾[البقرة: ٢٥٥]،﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام:١٤]"(٤٨).

---

(٤٤) العين (٤/٤١٩)، لسان العرب (١١/٤٩٨).

(٤٥) معجم مقاييس اللغة (٤/٣٨٦).

(٤٦) تهذيب اللغة (٨/١٣٦).

(٤٧) تفسير الطبري (١/٤٠٩).

(٤٨) التفسير الكبير (١/١٢١).

وقال أبو حيان: "بأن الله ليس بغافل عن أعمالهم، بل هو يحصيها عليهم، وإذا لم يغفل عنها كان مجازياً عليها، والغفلة إن أُريد بها السهو، فالسهو لا يجوز على الله، وإن أريد بها الترك عن عمد، فذكروا أنه مما يجوز أن يوصف الله تعالى به، وعلى كلا التقديرين فنفى الله تعالى الغفلة عنه، وانتفاء الشيء عن الشيء قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلاً، أو لكونه لا يقع منه مع إمكانه"(٤٩).

وذكر أبو حفص الدمشقي أن معنى الآية: أن الله بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم، وحافظ لأعمالهم، محصٍ لها، فهو مجازيهم بها(٥٠).

وأشار القاسمي أن الآية دالة على التهديد والتشديد والوعيد، وذلك أن الله عز وجل إذا كان عالماً بما يعملونه، مطَّلعاً عليه، غير غافل عنه، كان لمجازاتهم بالمرصاد(٥١).

إذن فمنطوق الآية دال على نفي أن يكون الله غافلاً عن أعمال الكفار والظالمين، كما أنه سبحانه ليس بغافل عن أعمال المؤمنين – كما في دلالة بعض الآيات الأخرى – فتضمن ذلك إثبات تمام الحفظ لله، فمن أسمائه سبحانه "الحفيظ"، والحفيظ صيغة مبالغة من الحفظ، قال ابن سِيدَه: "الحفظ نقيض النسيان، وهو التعاهد وقلة الغفلة"(٥٢).

وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [هود: ٥٧]، وقال : ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ: ٢١].

قال الخطابي: "الحفيظ، هو الحافظ، فعيل بمعنى فاعل... ويحفظ على الخلق أعمالهم، ويحصي عليهم أقوالهم، يعلم نياتهم وما تُكنُّ صدورهم، ولا تغيب

---

(٤٩) البحر المحيط (٤٣٣/١).
(٥٠) انظر: اللباب (١٩١/٢).
(٥١) انظر: تفسير القاسمي (٣١٣/١).
(٥٢) المحكم (٢١٢/٣).

عنه غائبة، ولا تخفى عليه خافية"(٥٣).

وقال هراس:"ومن أسمائه سبحانه: الحفيظ،وله معنيان: أحدهما: أنه يحفظ على العباد ما عملوه من خير وشر، وعرف ونكر، وطاعة ومعصية..."(٥٤).

ومما تضمنه هذا النفي أيضاً كمال العلم، ولهذا قال في آية هود: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٢٣].

(٥٣) شأن الدعاء (ص ٦٧).

(٥٤) شرح النونية لهراس (٨٣/٢).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٤].

ومما ورد في معنى الآية:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧٧].

معنى الآية ودلالة منطوقها:

قال الطبري في تفسير الآية: "لا يكلمهم بما يحبون ويشتهون، فأما بما يسوءهم ويكرهون، فإنه سيكلمهم"(٥٥).

وقال أبو حيان: "ظاهره نفي الكلام مطلقاً أعني مباشرتهم بالكلام... ويكون في نفي الكلام إياهم دلالة على الغضب عليهم... وقيل: لا يكلمهم كلام خير وإقبال وتحية، وإنما يكلمهم كلاماً يشق عليهم...، فنفي الكلام يراد ما يلزم عنه وهو استدعاء الكلام"(٥٦).

وذكر أبو حفص الدمشقي أن من الأوجه في تفسير هذه الآية:

١ – لا يكلمهم كلام تحية وسلام وخير، وإنما يكلمهم بما يعظم عندهم من الحسرة والغم من المناقشة والمساءلة، كقوله: ﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

٢ – أنه لا يكلمهم أصلاً، تمييزاً لأوليائه من أعدائه(٥٧).

---

(٥٥) تفسير الطبري (٢/٩٥).

(٥٦) البحر المحيط (١/٦٦٧).

(٥٧) انظر: اللباب (٣/١٨٦).

أما القاسمي فقد ذهب إلى أن المراد لا يكلمهم كلاماً يقتضي جدوى(٥٨).

إذن منطوق الآية نفي كلام الله عز وجل لمن اتصف بالصفات المذكورة في الآيتين، وهذا من باب زيادة العذاب لهم والتوبيخ جزاء أعمالهم.

أما مفهومها والكمال الذي تضمنه هذا النفي: فإثبات صفة الكلام لله عز وجل حقيقة، وذلك أنه لما نفاه عن هؤلاء حال السخط، دلّ على إثباته لأوليائه حال الرضى، وإلا لما كان لهذا التخصيص فائدة.

ومما جاء في معنى الآية في صحيح السنة:

حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: رجل على ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل... الحديث"(٥٩).

وحديث أبي ذر الغفاري – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم... المسبل إزاره، والمنان عطاءه، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب"(٦٠).

وحديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة...: شيخ زانٍ، ومَلِكٌ كذَّاب، وعائلٌ مُستكبر"(٦١).

وقد جاء في إثبات صفة الكلام لله عشرات الأدلة من الكتاب والسنة.

---

(٥٨) انظر: تفسير القاسمي – محاسن التأويل – (٤٣٨/١)، وانظر أيضاً: تفسير الخازن (١٠٤/٢).

(٥٩) رواه البخاري (٣٤/٥) رقم ٢٣٥٨، كتاب المساقاة، باب إثم منع ابن السبيل من الماء، ومسلم (١٠٣/١) رقم ١٠٨، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار...

(٦٠) رواه مسلم (١٠٢/١) رقم ١٠٦، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار.

(٦١) رواه مسلم (١٠٢/١) رقم ١٠٧، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وقد ورد في معنى هذه الآية آيات كثيرة جداً في نفي محبة الله لمن اتصف ببعض الصفات التي لا يريدها شرعاً، ويبغضها:

كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

وقوله سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وقوله جل وعلا: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٧، ١٤٠].

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦].

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٧].

وقوله: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [النساء: ١٤٨].

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤].

وأمثال هذا في القرآن كثير(٦٢).

معنى المحبة:

مما جاء في معناها:

- الحب نقيض البغض، وهو الوداد(٦٣).
- ميل النفس إلى ما تؤثره(٦٤).
- ميل الطبع في الشيء الملذ(٦٥).

---

(٦٢) راجع: المائدة آية ٨٧، الأنعام آية ١٤١، الأعراف آية ٣١، ٥٥، الأنفال آية ٥٨، النحل آية ٢٣، الحج آية ٣٨، القصص آية ٧٦، ٧٧، الروم آية ٤٥، لقمان آية ١٨، الشورى آية ٤٠، الحديد آية ٢٣.

(٦٣) تاج العروس (٢/٢١٢).

(٦٤) البحر المحيط (٢/٧٣).

(٦٥) الكليات (ص ٣٩٨).

- إحساس بوصلة لا يدرى كنهها(٦٦).

وذكر ابن القيم نحواً من ثلاثين حداً قيلت في المحبة، وأشار إلى أن هذه الحدود والرسوم بحسب آثارها وشواهدها، ثم بين أن المحبة لا تحد بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة.

ثم ذكر أن منزلة "المحبة" معلقة بطرفين: طرف محبة العبد لربه، وطرف محبة الرب لعبده، وأشار إلى أن محبة الرب لأوليائه وأنبيائه ورسله: صفة زائدة على رحمته وإحسانه وعطائه، فإن ذلك أثر المحبة وموجبها(٦٧).

ونفي المحبة بالنسبة لله يستلزم إثبات البغض، إذ لا واسطة بينهما، بخلاف محبة الإنسان وبغضه فإن بينهما واسطة وهي عدم الجميع(٦٨).

فمنطوق الآية نفي محبة الله لمن اتصف بهذه الصفات المذمومة التي جاءت في الآيات كالاعتداء، والفساد، والكفر، والظلم، والكبر، والخيانة ونحو ذلك.

ونفي الشيء عن بعض أفراده، دليل على إثباته لبقية الأفراد، وإلا لما كان هناك معنى لتخصيص نفي المحبة لمن اتصف بالصفات الآنفة الذكر، فمثلاً إذا نفى محبته للفساد، دل على أنه يحب الإصلاح.

إذن مفهوم هذه إثبات صفة المحبة لله على الوجه الأكمل اللائق به سبحانه.

وأيضاً فإن أهل العلم أخذوا من هذا النفي إثبات صفتي البغض والكره لله تعالى.

أما صفة المحبة والبغض فثبتت بأدلة كثيرة منها:

---

(٦٦) التوقيف على مهمات التعاريف (ص ٢٦٥).

(٦٧) انظر: مدارج السالكين (٣/٩ – ١٩).

(٦٨) انظر: البحر المحيط (٢/٧٣).

قال تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال:﴿ فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٧].

وقال: ﴿ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩].

أما من السنة فالأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً، فمن ذلك:

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر: "لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله..." (٦٩).

عن سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله: " صلى الله عليه وسلم إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي"(٧٠).

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله : " صلى الله عليه وسلم إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه. قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه...، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه. قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه... الحديث"(٧١).

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها"(٧٢).

---

(٦٩) رواه مسلم (١٨٧/٤) رقم ٢٤٠٥، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي رضي الله عنه.

(٧٠) رواه مسلم (٢٢٧٧/٤) رقم ٢٩٦٥، كتاب الزهد والرقائق.

(٧١) رواه مسلم (٢٠٣٠/٤) كتاب البر والصلة، باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده.

(٧٢) رواه مسلم (٤٦٤/١) رقم ٦٧١، كتاب المساجد، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح، وفضل المساجد.

وغير هذه الأحاديث كثير، الدالة على إثبات صفتي الحب والبغض. أما صفة الكره، فقد ثبتت بالكتاب والسنة، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾ [التوبة: ٤٦].

عن أبي موسى – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه"(٧٣).

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب"(٧٤).

فيلاحظ في النصوص المثبتة للبغض والكره أنها أيضاً أثبتت ضد هذه الصفات وهي صفة الحب.

وهنا مسألة متعلقة بصفة الحب يحسن التنبيه عليها وهي: هل حب الله للعبد أزلي؟

ذكر شيخ الإسلام أن جمهور علماء المسلمين يذهبون إلى أن الرجل قد يكون عدوًّا لله ثم يصير وليًّا لله، ويكون الله يبغضه ثم يحبه(٧٥).

---

(٧٣) رواه البخاري (٣٥٧/١١) رقم ٦٥٠٨، كتاب الرقائق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

(٧٤) رواه البخاري (٦٠٧/١٠) رقم ٦٢٢٣، كتاب الأدب، باب ما يستحب من العطاس وما يكره من التثاؤب.

(٧٥) انظر: كتاب محبة الله لشيخ الإسلام (ص ١٠٣).

﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

معنى الآية:

قال الطبري: "لا يأخذه نعاس فينعس، ولا نوم فيستثقل نوماً...، الله لا إله إلا هو الحي الذي لا يموت، القيوم على كل ما هو دونه بالرزق والكلاءة والتدبير والتصريف من حال إلى حال، لا تأخذه سنة ولا نوم، لا يغيره ما يغير غيره، ولا يزيله عما لم يزل عليه تنقل الأحوال...، بل هو الدائم على حال، القيوم على جميع الأنعام"(٧٦).

وقال ابن كثير: "لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شيء، لا يغيب عنه شيء، ولا يخفى عليه خافية"(٧٧).

وقال البغوي: "نفى الله عن نفسه النوم لأنه آفة، وهو منزه عن الآفات"(٧٨).

وقال ابن عطية: "المراد بهذه الآية أن الله تعالى لا تدركه آفة، ولا يلحقه خلل بحال من الأحوال، فجعلت هذه مثالاً لذلك، وأقيم هذا المذكور من الآفات مقام الجميع"(٧٩).

وقال أبو حيان: "المعنى أنه لا يغفل عن دقيق ولا جليل...، معناه لا تحله الآفات والعاهات المذهلة عن حفظ المخلوقات"(٨٠).

---

(٧٦) تفسير الطبري (١٣/٣).
(٧٧) تفسير ابن كثير (٦٨٢/١).
(٧٨) تفسير البغوي (٣١٢/١)، وانظر: تفسير الواحدي – الوسيط – (٣٦٧/١).
(٧٩) تفسير ابن عطية – المحرر الوجيز – (٣٨٠/٢).
(٨٠) البحر المحيط (٢٨٧/٢).

وقال الزمخشري: "لا تأخذه سنة ولا نوم تأكيد للقيُّوم؛ لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيُّوماً"(٨١).

وقال البيضاوي: "والجملة نفي للتشبيه وتأكيد لكونه حيًّا قيوماً، فإن من أخذه نعاس أو نوم كان ناقص الحياة قاصراً في الحفظ والتدبير"(٨٢).

وقال الشهاب في حاشيته على تفسير البيضاوي: "وكونه تأكيداً للقيوم ظاهر لأنه الحافظ القوي، ومن يعتريه النوم والفضلة لا يكون كامل الحفظ، وكذا الحي، لأن النوم آفة تنافي دوام الحياة"(٨٣).

وقد ورد في معنى الآية ما ثبت عن أبي موسى – رضي الله عنه – قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هبخمس كلمات، فقال: "إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام... الحديث"(٨٤).

أما الكمال الذي تضمنه هذا النفي فهو إثبات الحياة والقيومية لله تعالى، وورد إثبات ذلك في آيات كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:٥٨].

وقوله:﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر: ٦٥].

يقول شيخ الإسلام: "فنفي أخذ السنة والنوم له مستلزم لكمال حياته وقيوميته، فإن النوم ينافي القيومية، والنوم أخو الموت، ولهذا كان أهل الجنة لا ينامون"(٨٥).

---

(٨١) الكشاف (١/١٥٢).

(٨٢) تفسير البيضاوي (٢/٥٧٩).

(٨٣) حاشية الشهاب على البيضاوي (٢/٥٧٩)، وانظر: اللباب (٤/٣١٧)، تفسير الثعالبي (١/٥٠١).

(٨٤) رواه مسلم (١/١٦١) رقم ١٧٩، كتاب الإيمان، باب قوله عليه السلام: إن الله لا ينام.

(٨٥) الفتاوى (١٧/١٠٩).

قوله سبحانه: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ومما ورد في معنى الآية، قوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

قال ابن كثير في معنى الآية: "وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل، لأنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا أن يأذن له في الشفاعة"(٨٦).

وقال البيضاوي: " ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ بيان لكبرياء شأنه سبحانه وتعالى، وأنه لا أحد يساويه ويدانيه يستقل بأن يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلاً أن يعاوقه عناداً أو مناصبة"(٨٧).

وقال أبو حيان: "وفي هذه الآية أعظم دليل على ملكوت الله، وعظم كبريائه، بحيث لا يمكن أن يقدم أحد على الشفاعة عنده إلا بإذن منه تعالى"(٨٨).

فـ (مَنْ) هنا هي (مَنْ) الاستفهامية أُشربت معنى النفي، والمعنى: لا أحد يشفع عنده بدون إذنه له في الشفاعة(٨٩).

فهذا النفي الذي هو "نفي الشفعة بدون إذنه" قد تضمن كمال الملك، والغنى والربوبية، والعظمة، والجلال، والكبرياء.

---

(٨٦) تفسير ابن كثير (٤٤٠/٢). وانظر: تفسير ابن جرير (١٤/٣).

(٨٧) تفسير البيضاوي – مع حاشية الشهاب – (٥٧٩/٢).

(٨٨) البحر المحيط (٢٨٨/٢).

(٨٩) انظر: مغني اللبيب (ص ٤٣١)، تفسير ابن سعدي (ص ١١٠).

قال شيخ الإسلام: "فنفي الشفاعة بدون إذنه مستلزم لكمال ملكه؛ إذ كل من شفع إليه شافع بلا إذنه فقبل شفاعته كان منفعلاً عن ذلك الشافع، فقد أثرت شفاعته فيه فصيرته فاعلاً بعد أن لم يكن، وكان ذلك الشافع شريكاً للمشفوع إليه في ذلك الأمر المطلوب بالشفاعة، إذ كانت بدون إذنه، لاسيما والمخلوق إذا شفع إليه بغير إذنه فقبل الشفاعة فإنما يقبلها لرغبة أو لرهبة: إما من الشافع أو من غيره، وإلا فلو كانت داعيته من تلقاء نفسه تامة مع القدرة لم يحتج إلى شفاعة، والله تعالى منزه عن ذلك كله..." (٩٠).

وقال ابن القيم: "ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه"(٩١).

* * *

(٩٠) الفتاوى (١٠٩، ١٤٢). وانظر: الصواعق (١٠٢١/٣).

(٩١) حادي الأرواح (ص ٣٦٨).

قوله سبحانه: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال ابن جرير في معنى الآية: "أنه المحيط بكل ما كان، وبكل ما هو كائن علماً، لا يخفى عليه شيء منه... فإنه يعني تعالى ذكره أنه العالم الذي لا يخفى عليه شيء، محيط بذلك كله، محصٍ له دون سائر من دونه، وأنه لا يعلم أحد سواه شيئاً إلا بما شاء هو أن يعلمه، فأراد فعلمه"(٩٢).

وقال ابن كثير: "لا يطلع أحد من علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله عز وجل وأطلعه عليه"(٩٣).

وقد تضمن هذا النفي إثبات كمال العلم والعظمة له سبحانه.

قال شيخ الإسلام: "بين أنهم لا يعلمون من علمه إلا ما علمهم إياه... فكان في هذا النفي إثبات أن عباده لا يعلمون إلا ما علمهم إياه، فأثبت أنه الذي علمهم لا ينالون العلم إلا منه"(٩٤).

* * *

(٩٢) تفسير ابن جرير (١٥/٣).
(٩٣) تفسير ابن كثير (٤٤١/٢).
(٩٤) الفتاوى (١١٠/١٧).

﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال ابن كثير في معنى الآية: "لا يثقله ولا يكرثه حفظ السموات والأرض ومن فيهما ومن بينهما، بل ذلك سهل عليه يسير لديه، والقائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على جميع الأشياء، فلا يعزب عنه شيء، ولا يغيب عنه شيء، والأشياء كلها حقيرة بين يدين، متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه، محتاجة فقيرة وهو الغني الحميد، الفعَّال لما يريد، الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون"(٩٥).

وذكر الطبري أن معناها: "لا يشق عليه ولا يثقله...، فتأويل الكلام: وسع كرسيه السموات والأرض، ولا يثقل عليه حفظ السموات والأرض"(٩٦).

ومما ورد في معنى هذه الآية – علماً أنه سيأتي الكلام عليها تفصيلاً – :

قوله جل وعلا: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤].

وقوله سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [الأحقاف:٣٣].

وقوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨].

أما الكمال الذي تضمنه هذا النفي فهو كمال القدرة والقوة.

---

(٩٥) تفسير ابن كثير (٦٨٥/١).

(٩٦) تفسير الطبري (١١٠/٢)، وانظر: تفسير الواحدي (٣٦٨/١)، البحر المحيط (٢٦٠/٢)، تفسير الثعالبي (٥٠٢/١).

قال شيخ الإسلام: "وهذا النفي تضمن كمال قدرته، فإنه مع حفظه للسموات والأرض لا يثقل ذلك عليه كما يثقل على من في قوته ضعف"(٩٧).

وقد بين سبحانه وتعالى أنه متصف بضد هذه الصفة بأمور كثيرة، منها:

أنه سبحانه ختم الآية – بعد أن ذكر أنه لا يؤده حفظ السموات والأرض – باسمين كريمين، هما: العلي، والعظيم، فالعلي دل على ثبوت أنواع العلو كلها، وهي: علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، ممن كان مالكاً لخلقه قاهراً لهم، لم يكن شيء منها معجزاً له.

وكذلك "العظيم" كما يقول الحليمي: "هو الذي لا يمكن الامتناع عليه بالإطلاق"(٩٨).

والله – جلا وعلا – له أنواع العظمة كلها، ومن كان كذلك كان على كل شيء مقتدراً.

قال ابن القيم:

وهو العظيم بكـــــــل معنى تعظيم لا يحصيه من إنسان(٩٩)

قال الشيخ ابن سعدي معلقاً على هذا البيت: "يريد أن الله – تعالى – عظيم له كل وصف ومعنى يوجب التعظيم بحيث لا يقدر إنسان ولا مخلوق أن يحصي الثناء على الله بعظمته، ومعاني التعظيم نوعان: أحدهما: أنه تعالى موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال الذي وصف به أكمله وأعظمه وأجله، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء والعظمة، حتى إن من عظمته أن السموات والأرض في كف الرحمن كالخردلة في يد المخلوق..." (١٠٠).

---

(٩٧) الفتاوى (١١٠/١٧).

(٩٨) المنهاج في شعب الإيمان (١٩٥/١).

(٩٩) النونية مع شرح هراس (٦٨/٢).

(١٠٠) التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين (ص ٣٨).

وقال هراس معلقاً على البيت: "ومعاني التعظيم الثابتة له سبحانه نوعان:

أحدهما: أنه موسوف بكل كمال وله من ذلك الكمال أكمله وأعظمه وأوسعه، بحيث لا يكون وراءه كماله أصلاً... والنوع الثاني من معاني عظمته: أنه المستحق لكل أنواع التعظيم التي يعظم بها عباده"(١٠١).

وأيضاً في الآيتين الأخريين ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ ﴾ ، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ ختمها بإثبات صفة القدرة صراحة.

وقد وصف نفسه – سبحانه – بالقدرة والقوة في آيات كثيرة، وأنه على كل شيء قدير، وأنه القوي العزيز.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٠].

وقال سبحانه: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥].

* * *

(١٠١) شرح النونية لهراس (٦٨/٢).

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وقد ورد في معنى هذه الآية آيات كثيرة جداً، منها:

ما ورد في نفي هداية الله للقوم الظالمين كما في سورة آل عمران (آية ٨٦)، وسورة المائدة (آية ٥١)، الأنعام (آية ١٤٤)، التوبة (الآيات: ١٩، ١٠٩)، القصص (آية ٥٠)، الأحقاف (آية ١٠)، الصف (آية ٧)، الجمعة (آية ٥).

وكذلك نفي هداية الله للقوم الكافرين كما في سورة البقرة (آية ٢٦٤)، المائدة (آية ٦٧)، التوبة (آية ٣٧)، النحل (آية ١٠٧).

وكذلك نفي هداية الله للقوم الفاسقين كما في سورة المائدة (آية ١٠٨)، التوبة (آية ٢٤، ٨٠)، الصف (آية ٥)، المنافقين (آية ٦).

وكما قال سبحانه: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ [يوسف: ٥٢].

وقال سبحانه: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ ﴾ [النحل: ٣٧].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾ [الزمر: ٣].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾ [غافر: ٢٨].

وقد ذكر ابن سعدي أن معنى "الهادي" الذي يهدي ويرشد عباده(١٠٢).

ومعنى نفي هداية الله عن القوم الظالمين والكافرين ونحو ذلك:

قال ابن جرير: "والله لا يهدي أهل الكفر إلى حجة يدحضون بها حجة أهل الحق عند المحاجة والمخاصمة؛ لأن أهل الباطل حجتهم داحضة"(١٠٣).

---

(١٠٢) تفسير ابن سعدي (٣٠٥/٥).

(١٠٣) تفسير الطبري (٢٩/٣).

وقال عند قوله: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ : "لا يسددهم لإصابة الحق في نفقاتهم وغيرها، فيوفقهم لها، وهم للباطل عليها مؤثرون، ولكنه يتركهم في ضلالهم يعمهون"(١٠٤).

وقال عند قوله: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ : "والله لا يوفق للحق والصواب الجماعة الظالمة، وهم الذين بدلوا الحق إلى الباطل، فاختاروا الكفر على الإيمان"(١٠٥).

وذكر ابن كثير أن معنى نفي الهداية هنا: "لا يلهمهم حجة ولا برهاناً، بل حجتهم داحضة عند ربهم، وعليهم غضب ولهم عذاب شديد"(١٠٦).

وذكر الثعالبي أن ظاهر اللفظ العموم، ومعناه الخصوص؛ لأن الله سبحانه قد يهدي بعض الظالمين بالتوبة والرجوع إلى الإيمان(١٠٧).

وقال أبو حيان: "والذي يظهر أن هذا إخبار من الله بأن من حكم عليه وقضى بأن يكون ظالماً أي كافراً، وقدر أن لا يسلم، فإنه لا يمكن أن يقع هداية من الله له"(١٠٨).

إذن منطوق هذه الآيات نفي هداية الله لمن اتصف بهذه الصفات المذكورة، أما مفهومها والكمال الذي تضمنه هذا النفي فإثبات هداية الله عز وجل لمن أراد هدايته، وقد ورد ذلك في مجموعة من النصوص:

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

---

(١٠٤) تفسير الطبري (٦٦/٣).

(١٠٥) المصدر السابق (٣٤٠/٣).

(١٠٦) تفسير ابن كثير (٤٥١/٢).

(١٠٧) تفسير الثعالبي (٥٠٨/١)، وانظر: تفسير ابن عطية – المحرر الوجيز (٤٠١/٢).

(١٠٨) البحر المحيط (٣٠١/٢).

وقال سبحانه:﴿ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقال سبحانه: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ [آل عمران: ٨].

وقال سبحانه:﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٤].

وقال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٣].

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً. أما من السنة، فمن ذلك:

حديث أبي ذر – رضي الله عنه – في الحديث القدسي، وفيه: "...يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم..." (١٠٩).

قال ابن سعدي في معنى "الهادي": "الهادي الذي يهدي ويُرشد عباده إلى جميع المنافع وإلى دفع المضار، ويعلمهم ما لا يعلمون، ويهديهم لهداية التوفيق والتسديد، ويلهمهم التقوى، ويجعل قلوبهم منيبة إليه منقادة لأمره"(١١٠).

فقد تضمن النفي الوارد في تلك الآيات إثبات صفة "الهادي" لله تعالى.

وأيضاً صفة "الرُّشد"، وذلك أن الرشيد هو الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم، قال ابن القيم في هذا المعنى:

وهو الرشيد فقوله وفعاله رشد وربك مُرشد الحيران

وكلاهما حقٌّ فهذا وصفه والفعل للإرشاد ذاك الثاني(١١١)

---

(١٠٩) رواه مسلم (٤/١٤٩٤) رقم ٢٥٧٧، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم.

(١١٠) تفسير ابن سعدي (٥/٣٠٥).

(١١١) النونية – مع شرح هراس – (٢/٩٧).

قال ابن سعدي في شرح هذا الاسم: "الرشيد: هو الذي قوله المستقيم رشيد وفعله كله رشد، وهو مرشد الحيران الضال، فيهديه إلى الصراط المستقيم بياناً وتعليماً وتوفيقاً. فالرشد الدال عليه اسمه الرشيد، وصفه تعالى، والإرشاد لعباده فعله"(١١٢).

(١١٢) شرح النونية لابن سعدي (ص ١٩٨).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ٩].

ومما ورد في معنى الآية:

قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

وقوله سبحانه: ﴿ حَتَّىٰٓ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ [الرعد: ٣١].

وقوله سبحانه: ﴿ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الروم: ٦].

وقوله سبحانه: ﴿ وَعۡدَ ٱللَّهِ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ [الزمر: ٢٠].

قال ابن جرير في معنى الآية: "والميعاد المفعال من الوعد. قال: وذلك أن معنى الكلام: ربنا إنك جامع الناس ليوم القيامة، فاغفر لنا يومئذ واعف عنا، فإنك لا تخلف وعدك"(١١٣).

وقال الثعالبي: "ففي ذلك إقرار بصفة ذات الله تعالى، والميعاد من الوعد"(١١٤).

وذكر أبو حفص الدمشقي أن الميعاد: مصدر، وياؤه منقلبة عن واو؛ لانكسار ما قبلها كميقات(١١٥).

وهذا النفي تضمن إثبات صفة "الصدق" لله تعالى، وقد ورد إثباتها في الكتاب والسنة.

---

(١١٣) تفسير ابن جرير (١٨٩/٣). وانظر: تفسير ابن كثير (٢١/٣).
(١١٤) تفسير الثعالبي (١٤/٢).
(١١٥) اللباب (٤٧/٥).

قال تعالى: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۖ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [آل عمران: ٩٥].

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وقال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧].

ومن السنة: حديث: "صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده"(١١٦).

قال أبو القاسم الزجاجي: "الصادق في خبره: الذي لا تكذيب له، فالله عز وجل الصادق في جميع ما أخبر به عباده. قال الفراء: الصدق: قوة الخبر، والكذب: ضعف الخبر، ثم قال أبو القاسم: والصادق أيضاً: الصادق في وعده، الوافي به، يقال: وفَّى بعهده ووعده وأوفَى به... فالله عز وجل الصادق في جميع ما وعد به عباده، وهذه الصفة من صفاته مستنبطة من سورة مريم، من قوله: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾ [مريم: ٦١]. أي: آتياً، مفعول بمعنى فاعل، وإذا كان وعده آتياً؛ فهو الصادق فيه، وكل شيء وعد الله عز وجل عباده به؛ فهو كائن كما وعد به عز وجل لا محالة"(١١٧).

* * *

(١١٦) رواه البخاري (١٣٥/٦) رقم ٢٩٩٥، كتاب الجهاد، باب التكبير إذا علا شرفاً، ومسلم (٩٨٠/٢) رقم ١٣٤٤، كتاب الحج، باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج.

(١١٧) اشتقاق أسماء الله (ص ١٦٨).

﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ٧٧].

دلت هذه الآية على نفي نظر الله لهؤلاء الذين اشتروا بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً.

وقد ذكر الواحدي أنه لا ينظر إليهم نظراً يسرهم(١١٨).

وقال ابن كثير: "ولا ينظر إليهم بعين الرحمة"(١١٩).

وهذا النفي تضمن إثبات صفة فعلية لله وهي: "النظر"، وجاء إثباتها في عدة أحاديث، منها:

حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم... الحديث"(١٢٠).

وحديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا ينظر الله إلى من جرَّ إزاره بطراً"(١٢١).

وإذا كان لا ينظر إلى هؤلاء حال السخط، دلَّ على أنه ينظر إلى أوليائه حال الرضى، وإلا لما كان هناك فائدة في تخصيص هؤلاء بعدم النظر، لو كان لا ينظر إلى الجميع.

عن إبراهيم المزني – صاح بالشافعي – قال: سمعت الشافعي يقول في قوله: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥]: "لما أن

---

(١١٨) تفسير الواحدي (٤٥٣/١).

(١١٩) تفسير ابن كثير (٩٣/٣).

(١٢٠) رواه مسلم (١٠٢/١) رقم ١٠٧، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم إسبال الإزار.

(١٢١) رواه البخاري (٢٥٧/١٠) رقم ٥٧٨٨، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء، ومسلم (١٦٥٣/٣) رقم ٢٠٨٧، كتاب اللباب، باب تحريم جر الثوب خيلاء.

حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى"(١٢٢).

وقال الإمام أحمد: "فإذا كان الكافر يحجب عن الله، والمؤمن يحجب عن الله، فما فضل المؤمن عن الكافر؟!" (١٢٣).

وقال الإمام ابن خزيمة: "ويحجب جميع أعدائه عن النظر إليه من مشرك، ومتهوِّد، ومتنصِّر، ومتمجِّس، ومنافق، كما أعلم في قوله: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ فيزيد الله المؤمنين كرامة وإحساناً إلى إحسانه، تفضلاً منه وجوداً، بإذنه إياهم النظر إليه، ويحجب عن ذلك جميع أعدائه"(١٢٤).

* * *

(١٢٢) رواه اللالكائـــي في شرح أصول أهل السنة (٤٦٨/٣، ٤٦٩، ٥٠٥، ٥٠٦) رقم ٨٠٩، ٨١٠، ٨٨٣، والبيهقي في الاعتقاد (ص ٥٣).

(١٢٣) الرد على الجهمية للإمام أحمد (ص ١٢٩).

(١٢٤) التوحيد (٤٤٣/١).

﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٨].

ومما ورد في معنى الآية:

قوله سبحانه: ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٧].

وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٣١].

وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النحل: ٣٣].

وقوله سبحانه: ﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [التوبة: ٧٠].

وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وقوله سبحانه: ﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الروم: ٩].

وقوله جل وعلا: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [آل عمران: ١٨٢].

وقوله جل وعلا: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [الأنفال: ٥١].

وقوله جل وعلا: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [الحج: ١٠].

وقوله جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء: ٤٠].

وقوله جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا ﴾ [يونس: ٤٤].

وقوله جل وعلا: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩].

وقوله جل وعلا: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦].

وقوله جل وعلا: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق: ٢٩].

ففي هذه الآيات نفى الله عن نفسه الظلم، وقد ذكر الطبري أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه(١٢٥).

وقال أيضاً: "وما الله طالباً وضع شيء مما فعل ذلك في غير موضعه الذي هو موضعه، إعلاماً بذلك عباده أنه لن يصلح في حكمته بخلقه غير ما وعد أهل طاعته والإيمان به، وغير ما أوعد أهل معصيته والكفر به، وإنذاراً منه هؤلاء، وتبشيراً منه هؤلاء"(١٢٦).

وقال ابن كثير: "ليس بظالم لهم، بل هو الحكم العدل الذي لا يجور؛ لأنه القادر على كل شيء، العالم بكل شيء، فلا يحتاج مع ذلك إلى أن يظلم أحداً من خلقه"(١٢٧).

وقبل ذكر الصفات الثبوتية التي تضمنها هذا النفي، لا بد من ذكر تعريف الظلم وبيان مفهومه الذي نفاه الله عن نفسه.

وقد تقدم قريباً أن الطبري ذكر أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه.

وقال الزبيدي: "الظلم بالضم: التصرف في ملك الغير، ومجاوزة الحد...، وقال الراغب: هو وضع الشيء في غير موضعه"(١٢٨).

وقال التهانوي: "بالضم والفتح وسكون اللام لغة: وضع الشيء في غير محله...، وقيل: هو التصرف في ملك الغير، ومجاوزة الحد"(١٢٩).

والله منزه عن جميع أنواع الظلم وصوره، سواء في أقواله أو أفعاله أو أحكامه، فلم يضع شيئاً إلا في موضعه الذي يناسبه، فقد أحل الطيبات، وحرَّم الخبائث، وجازى المحسن بإحسانه، ولم يعذب أحداً إلا بذنبه، ولم ينقص أحداً من

---

(١٢٥) تفسير الطبري (٤٠٦/٣).

(١٢٦) المصدر السابق (٣٨٨/٣).

(١٢٧) تفسير ابن كثير (١٤٠/٣).

(١٢٨) تاج العروس (٤٤٧/١٧).

(١٢٩) كشاف اصطلاحات الفنون (١٨٦/٣)، وانظر: التعريفات للجرجاني (ص ١٨٦)، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص ٤٩٢).

حقه، ولم يحمله سوى ذنبه، ولم يفرق بين المتماثلات، ولم يسوّ بين المختلفات، وأعطى كل ذي حق حقه(١٣٠).

والله سبحانه تنزه عن فعل الظلم مع قدرته عليه لقبحه وشناعته، فإنه سبحانه ترك الظلم باختياره ومشيئته، ولهذا تمدح بذلك، وأثنى على نفسه به(١٣١)، وقال كما في حديث أبي ذر – رضي الله عنه – "يا عبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّماً فلا تَظالَموا"(١٣٢).

وأما الكمال الذي تضمنه النفي الوارد في الآيات، فقد تضمن كمال العدل، وكمال القدرة، وكمال العلم، كما أشار إلى ذلك ابن كثير – في كلامه المتقدم قريباً –.

* * *

(١٣٠) انظر: جامع الرسائل لشيخ الإسلام (١/١٢٤ – ١٢٩)، التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين للسعدي (ص ٢٢).

(١٣١) انظر: الفتاوى (٦/١٢٧) (١٠/٢٥٠)، منهاج السنة (٥/١٠٤).

(١٣٢) رواه مسلم (٤/١٩٩٤) رقم ٢٥٧٧، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم.

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧١].

ومما ورد في معنى الآية:

قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[التوبة:١٢٠].

وقوله سبحانه:﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [هود:١١٥].

وقوله سبحانه: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠].

وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال ابن جرير عن آية آل عمران: "لا يبطل جزاء أعمال من صدق رسوله واتبعه، وعمل بما جاءه من عند الله"(١٣٣).

ومعنى الإضاعة من "ضاع الشيء ضيعة وضياعاً: صار مهملاً، ومنه ضاعت الإبل، وضاع العيال، إذا خلوا عن الرعاية والتعهد وأهملوا...، وأضاع الشيء: أهمله وأهلكه، كضيعه...، وفي التنزيل: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ أي صلاتكم أي يهملها"(١٣٤).

وقد تضمن هذا النفي إثبات صفة الحفظ لله تعالى، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [هود: ٥٧]، وقال سبحانه: ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ: ٢١].

يقول محمد خليل هراس في شرحه لقول ابن القيم:

وهو الحفيظ عليهم وهو الكفـ ـــيل بحفظهم من كل أمر عان.

يقـول هراس في ذلك: "ومن أسمائه سبحانه: الحفيظ، وله معنيان: أحدهما: أنـه يحفظ على العباد ما عملوه من خير وشر، وعرف ونكر، وطاعة ومعصية...، والمعنـى الثانـي مـن معنيـي الحفـيظ: أنـه تعالى الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون..."(١٣٥).

---

(١٣٣) تفسير ابن جرير (٥١٨/٣).

(١٣٤) تاج العروس (٣١٤/١١).

(١٣٥) شرح النونية لهراس (٨٣/٢).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

ومما ورد في معنى الآية:

﴿ لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٣٧].

﴿ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴾ [التوبة: ٨٠].

هذا النفي تضمن صفة فعلية ثابتة لله، وهي كمال المغفرة والغفران، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال سبحانه: ﴿ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴾ [الزمر: ٥].

وقال جل وعز: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [فصلت: ٤٣].

وقال سبحانه: ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ٤٠].

وقال سبحانه: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢].

قال ابن قتيبة: "ومن صفاته (الغفور)، وهو من قولك: غفرت الشيء إذا غطيته، كما يقال: كفرته: إذا غطيته، ويقال: كذا أغفر من كذا، أي أستر"(١٣٦).

وقال الزجاجي: "غفور من أبنية المبالغة، فالله عز وجل غفور؛ لأنه يفعل ذلك لعباده مرة بعد مرة إلى ما لا يحصى، فجاءت هذه الصفة من أبنية المبالغة لذلك..." (١٣٧).

---

(١٣٦) غريب القرآن (ص ١٤).

(١٣٧) اشتقاق أسماء الله (ص ٩٣).

وقال ابن سعدي: "العفو الغفور الغفار: الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفاً، كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه"(١٣٨).

* * *

(١٣٨) تفسير ابن سعدي (٥/٣٠٠).

﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ١٧١].

ومما ورد في معنى الآية:

قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١].

وقال سبحانه: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١].

وقال سبحانه: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ﴾ [مريم: ٣٥].

وقال جل وعلا: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾[مريم:٩٢].

وقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ [الفرقان: ٢].

وقال سبحانه: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص: ٣].

وقد ورد تنزيه الله عن الولد في آيات كثيرة وبأساليب متعددة بحسب المقام(١٣٩).

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال الله عز وجل: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك...، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد"(١٤٠).

---

(١٣٩) انظر مثلاً: سورة الصافات آية ١٥١، والأنعام ١٠٠ – ١٠١، المائدة ١٨، المؤمنون ٩١، الإسراء ١١١، الأنبياء ٢٦ – ٢٩، النحل ٥٦، ٧٥، النجم ١٩ – ٢٣، ٢٧، الزخرف ١٥، ١٧.

(١٤٠) رواه البخاري (٧٣٩/٨) رقم ٤٩٧٤ كتاب التفسير، باب سورة قل هو الله أحد.

قال ابن جرير: "عزَّ وتعظَّم وتنزَّه عن أن يكون له ولد أو صاحبة...، ثم ذكر أن كل ما في السموات ومن في الأرض عبيده وإماؤه وخلقه، وأنه رازقهم وخالقهم، وأنهم أهل حاجة وفاقة إليه، احتجاجاً منه بذلك على من ادعى أن المسيح ابنه، وأنه لو كان ابنه كما قالوا، لم يكن ذا حاجة إليه، ولا كان له عبداً مملوكاً..."(١٤١).

وقال ابن كثير: "تعالى وتقدس عن ذلك علوًّا كبيراً... الجميع ملكه وخلقه، وجميع ما فيهما عبيده وهم تحت تدبيره وتصريفه، وهو وكيل على كل شيء، فكيف يكون له منهم صاحبة أو ولداً"(١٤٢).

وقال البيضاوي: "أي أسبحه تسبيحاً من أن يكون له ولد، فإنه يكون لمن يعادله مثل، ويتطرق له الفناء... له ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولداً ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴾ تنبيهاً على غناه عن الولد، فإن الحاجة إليه ليكون وكيلاً لأبيه، والله سبحانه وتعالى قائم بحفظ الأشياء كافٍ في ذلك، مستغن عمن يخلفه أو يعينه"(١٤٣).

وذكر الشهاب أن من دلالة هذا النفي إثبات صفة البقاء والآخرية، وذلك أن "الولد إنما يطلب يكون قائماً بعده مقامه إذا عدم، ولذا كان التناسل، والله باق لا يتطرق ساحته الفناء، فلا يحتاج إلى ولد"(١٤٤).

وقال أبو حفص الدمشقي: "واعلم أنه تعالى في كل موضع نزه نفسه عن الولد ذكر كونه ملكاً ومالكاً لما في السموات وما في الأرض..." (١٤٥).

وأشار أبو حيان إلى إثبات صفة الغنى من هذا النفي(١٤٦).

---

(١٤١) تفسير ابن جرير (٤/٣٧٥).
(١٤٢) تفسير ابن كثير (٤/٣٩٠).
(١٤٣) تفسير البيضاوي (٣/٤٠٢).
(١٤٤) حاشية الشهاب على البيضاوي (٣/٤٠٣).
(١٤٥) اللباب (٧/١٤٧).
(١٤٦) انظر: البحر المحيط (٣/٤١٨).

أما ما يتعلق بآية الإخلاص – وهي عمدة في هذا الباب – :

فقد قال ابن جرير عنها: "لم يلد. ليس بفان؛ لأنه لا شيء يلد إلا وهو فان بائد، ولم يولد، يقول: وليس بمحدث لم يكن فكان، لأن كل مولود فإنما وجد بعد أن لم يكن، وحدث بعد أن كان غير موجود، ولكنه تعالى ذكره قديم لم يزل، ودائم لم يبد، ولا يزال ولا يفنى"(١٤٧).

وقال البيضاوي: "لأنه لم يجانس، ولم يفتقر إلى ما يعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة...، ولم يولد: وذلك لا يفتقر إلى شيء ولا يسبقه أحد"(١٤٨).

وذكر أبو حفص الدمشقي أن الآية دالة على نفي الحاجة(١٤٩).

وكذلك أبو حيان ذكر أنها تدل على الأولية(١٥٠).

وذكر ابن القيم أن قوله: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ متضمن لكمال صمديته وغناه، وأن نفي ذلك من لوازم الكمال الذي لا يلحقه نقص بوجه من الوجوه، وتضمن أيضاً كمال الغنى والأحدية(١٥١).

وبهذا يتبين أن النفي الوارد في هذه الآيات قد تضمن مجموعة من صفات الكمال، منها:

كمال الغنى، والأولية، والأخرية، وكمال الملك، وكمال الصمدية.

وقال شيخ الإسلام: "كما أن ما نفاه من اتخاذ الولد يعم جميع أنواع الاتخاذات الاصطفائية"(١٥٢).

---

(١٤٧) تفسير ابن جرير (٧٤٤/١٢).

(١٤٨) تفسير البيضاوي (٥٩٨/٩).

(١٤٩) انظر: اللباب (٥٦١/٢٠).

(١٥٠) انظر: البحر المحيط (٥٣٠/٨).

(١٥١) انظر: بدائع الفوائد (١٥٩/١)، بدائع التفسير (٣٦٨/٥).

(١٥٢) تفسير سورة الإخلاص (ص ٥٢).

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام: ١٤].

ومما ورد في معناها: قوله تعالى: ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ [الذاريات: ٧٥].

قال ابن جرير في معنى الآية: "وهو يرزق خلقه ولا يرزق"(١٥٣).

وقال ابن كثير: "وهو الرزاق لخلقه من غير احتياج إليهم"(١٥٤).

ومما ورد أيضاً في معنى الآية: حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –: دعا رجل من الأنصار من أهل قباء النبي صلى الله عليه وسلم على طعام... وذكر الحديث إلى أن قال: وغسل يديه وقال: الحمد لله الذي يُطعِم ولا يُطعَم... الحديث"(١٥٥).

وتخصيص الطعام لشدة الحاجة إليه، واكتفى بذكره عن ذكر غيره، فإذا انتفى هذا انتفى ما سواه من باب أولى من المنافع(١٥٦).

وأما الكمال الذي تضمنه هذا النفي المفصل: فإثبات كمال الغنى لله تعالى، فهو الغني بذاته سبحانه، إذ الحاجة للطعام دليل على النقص(١٥٧).

* * *

(١٥٣) تفسير ابن جرير (١٥٩/٥).

(١٥٤) تفسير ابن كثير (١٥/٦). وانظر: البحر المحيط (٩٠/٤)، اللباب (٥٥/٨).

(١٥٥) رواه النسائي في الكبرى (١٠٣٣/٦)، وابن حبان في صحيحه – الإحسان – (٥٢١٩/١٢)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص ٤٨٦)، والطبراني في الدعاء (٨٩٦/٢)، وأبو نعيم في الحلية (٢٤٢/٦)، والبيهقي في الشعب (٤٣٧٧/٤)، والحاكم في المستدرك (٥٤٦/١) وذكر أنه صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(١٥٦) انظر: تفسير البيضاوي – مع حاشية الشهاب (٤٨/٤)، الكشاف (٦/٢).

(١٥٧) انظر: التدمرية (ص ١٤٢ – ١٤٣).

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾
[الأنعام: ١٠٣]

ذكر ابن جرير أن مما قيل في معنى الآية: لا تحيط به الأبصار وهو يحيط بها، ونقل ذلك عن ابن عباس وقتادة. ونقل عن عطية العوفي قوله: "لا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره يحيط بهم"، ونقل أيضاً عمن قال بذلك: أنه يجوز أن يرى ولا يدرك، كما يجوز وصفه بأنه يعلم ولا يحاط بعلمه، كما قال جل ثناؤه: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[البقرة: ٢٥٥]، قالوا: فنفى جل ثناؤه عن خلقه أن يحيطوا بشيء من علمه إلا بما شاء، قالوا: فلم يكن في نفيه عن خلقه أن يحيطوا بشيء من علمه إلا بما شاء نفي عن أن يعلمون، فإذا لم يكن في نفي الإحاطة بالشيء علماً نفياً للعلم به، كان كذلك، لم يكن نفي إدراك الله بالبصر نفي رؤيته له. قالوا: وكما جاز أن يعلم الخلق أشياء ولا يحيطون بها علماً، كذلك جائز أن يروا ربهم بأبصارهم ولا يدركوه بأبصارهم. إذ كان معنى الرؤية غير معنى الإدراك(١٥٨).

وذكر ابن كثير نحواً مما ذكره ابن جرير، ثم قال: "وفي الإدراك الخاص لا ينفي الرؤية يوم القيامة، يتجلى لعباده المؤمنين كما يشاء، فأما جلاله وعظمته على ما هو عليه تعالى وتقدس وتنزه فلا تدركه الأبصار، ولهذا كانت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – تثبت الرؤية في الدار الآخرة وتنفيها في الدنيا، وتحتج بهذه الآية...، فالذي نفته الإدراك الذي هو بمعنى رؤية العظمة والجلال على ما هو عليه، فإن ذلك غير ممكن للبشر ولا للملائكة ولا لشيء"(١٥٩).

---

(١٥٨) انظر: تفسير ابن جرير (٢٩٤/٥).
(١٥٩) تفسير ابن كثير (١٢٢/٦).

أما أبو حيان فقد ذكر أن الإدراك يتضمن الإحاطة بالشيء والوصول إلى أعماقه وحوزه من جميع جهاته. ثم قال: "وفي قوله: ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾ دلالة على أن الإدراك لا يراد به مجرد الرؤية، إذ لو كان مجرد الرؤية لم يكن له تعالى بذلك اختصاص ولا تمدح، لأنا نحن نرى الأبصار، فدل على أن معنى الإدراك: الإحاطة بحقيقة الشيء"(١٦٠).

وقال أبو حفص الدمشقي: "لو لم يكن تعالى جائز الرؤية لما حصل التمدح بقوله ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ ألا ترى أن المعدوم لا تصح رؤيته، والمعلوم والقدرة والإرادة والروائح والطعوم لا يصح رؤية شيء منها، ولا مدح بشيء منها في كونها بحيث لا يصح رؤيتها...، وتحقيقه أن الشيء إذا كان ما في نفسه بحيث يمتنع رؤيته فحينئذ لا يلزم من عدم رؤيته مدح وتعظيم لذلك الشيء، أما إذا كان في نفسه جائز الرؤية، ثم إنه قدر على حجب الأبصار عن رؤيته، وعن إدراكه، كانت هذه القدرة دالة على المدح والعظمة"(١٦١).

والإدراك مأخوذ من: أدْرك، أي: بلغ علمه أقصى شيء منه(١٦٢).

ومما ورد في معنى الآية ومضمونها: قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠].

وهذا النفي تضمن إثبات كمال عظمة الله وجلاله.

قال شيخ الإسلام: "وكذلك قوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ إنما نفى الإدراك الذي هو الإحاطة، كما قال أكثر العلماء، ولم ينف مجرد الرؤية؛ لأن المعدوم لا يرى، وليس في كونه لا يرى مدح، إذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحاً، وإنما المدح في كونه لا يحاط به وإن رئي، كما أنه لا يحاط به وإن علم، فكما أنه إذا علم لا يحاط به علماً فكذلك إذا رؤي لا يحاط به رؤية، فكان

---

(١٦٠) البحر المحيط (١٩٨/٤). وانظر: حاشية الشهاب على البيضاوي (١٧٣/٤).

(١٦١) اللباب (٣٤٦/٨).

(١٦٢) انظر: تاج العروس (٥٥٦/١٣).

في نفي الإدراك من إثبات عظمته ما يكون مدحاً وصفة كمال، وكان ذلك دليلاً على إثبات الرؤية لا على نفيها، لكنه دليل على إثبات الرؤية مع عدم الإحاطة، وهذا هو الحق الذي عليه سلف الأمة وأئمتها"(١٦٣).

وقال أيضاً بعد أن ضعف القول بأن نفي الإدراك نفي للرؤية، قال: "لأن نفي الرؤية عنه لا مدح فيه، فإن العدم لا يرى، وكل وصف يشترك فيه الوجود والعدم لا يستلزم أمراً ثبوتياً فلا يكون فيه مدح، إذ هو عدم محض، بخلاف ما إذا قيل لا يحاط به، فإنه يدل على عظمة الرب جل جلاله"(١٦٤).

ونقل ابن القيم عن شيخ الإسلام قوله: "فلو كان المراد بقوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ أنه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك، فإن العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار، والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض، فإذاً المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به... فقوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ يدل على غاية عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية... فالرب تعالى يرى ولا يدرك، كما يعلم ولا يحاط به"(١٦٥).

* * *

(١٦٣) التدمرية (ص ٥٩).
(١٦٤) الفتاوى (١١١/١٧).
(١٦٥) حادي الأرواح (ص ٢٠٢).

﴿ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

لفظ تبارك ورد في القرآن تسع مرات: في ثلاث منها ورد "تبارك" والفاعل لفظ الجلالة: (الأعراف: ٥٤، المؤمنون: ١٤، غافر: ٦٤)، وفي خمسة مواضع ورد بعده اسم الموصول "الذي" عائد على الله: (الفرقان: ١، ١٠، ٦١، الزخرف: ٨٥، الملك: ١)، وفي موضع واحد ورد بعده الاسم كناية عن أسماء الله تعالى: (الرحمن: ٧٨).

وتبارك فسرت بمعنى: تعالى – وهذا سيأتي الحديث عنه – .

وفسرت بمعنى: تقدس(١٦٦).

والتقديس: التطهير والتنزيه، أي تنزيه الله من أن ينسب إليه ما ليس من صفاته(١٦٧).

قال ابن سعد: "المقدس السالم من كل عيب وآفة ونقص، المعظم الممجد؛ لأن القدوس يدل على التنزيه عن كل نقص، والتعظيم لله في أوصافه وجلاله"(١٦٨).

وقال الحلبي: "هو التطهير والتنزيه مما لا يليق بجلاله وصفاته، عكس ما فعله جهلة بني آدم حسبما وصفوه به من اتخاذ الولد والزوجة والحلول والاتحاد"(١٦٩).

وذكر ابن فارس أن القاف والدال والسين أصل صحيح، وهو يدل على الطهر، وفي صفة الله تعالى: القدوس. منزه عن الأضداد والأنداد والصاحبة والولد، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً(١٧٠).

---

(١٦٦) انظـر: تفسير الطبري (٥٢/١٢)، زاد المسير (٢١٤/٣)، اللباب (١٥٥/٩)، تفسير ابن كثير (٥٠٢/١٣)، عمدة الحفاظ (٣٣٢/٣)، معجم مقاييس اللغة (٢٣١/١)، تاج العروس (٤٠٨/٨).

(١٦٧) انظر: تفسير الطبري (٢٤٨/١)، تفسير ابن كثير (٥٠٢/١٣).

(١٦٨) تفسير ابن سعدي (ص ٨٥٤).

(١٦٩) عمدة الحفاظ (٣٣٢/٣).

(١٧٠) معجم مقاييس اللغة (٦٣/٥).

وذكر الزبيدي أن القدوس: أي المطهر المنزه عن العيوب والنقائص(١٧١).

إذن فـ ﴿ تَبَارَكَ ﴾ من أساليب النفي المجمل المتضمن إثبات الكمال المطلق لله تعالى، حيث نزَّه سبحانه نفسه بهذا اللفظ عن كل نقص وعيب.

* * *

(١٧١) تاج العروس (٤٠٨/٨).

﴿ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[يونس:٦١].

ومما ورد في معناها:

قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [سبأ: ٣].

ذكر المفسرون في معنى ذلك: أنه لا يعمل أحد عملاً إلا وهو له شاهد، يحصي عليه ويعلمه، فلا يخفى عليه أصغر الأشياء ولا يغيب عنه، فهو يعلم جميع أحوال الخلائق في كل ساعة وآن ولحظة، وأنه لا يعزب عن علمه وبصره مثقال ذرة في حقارتها وصغرها في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر منها ولا أكبر ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأنعام: ٥٩] (١٧٢).

وهذا النفي تضمن إثبات كمال علمه سبحانه(١٧٣).

* * *

(١٧٢) انظـــر: تفسير الطبري (٦/٥٧٣) (١٠/٣٤٥)، تفسير ابن كثير (٧/٣٧٤)، اللباب (١٠/٣٦٢)، البحر المحيط (٥/١٧١)، تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب (٥/٧٣)، التفسير الكبير(١٧/٩٩).

(١٧٣) انظر: الصواعق المرسلة (٣/١٠٢١)، حادي الأرواح (ص ٣٦٨).

﴿ حَٰشَ لِلَّهِ ﴾ [يوسف: ٣١]، ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٢٣].

قال مجاهد: "(حاشا لله) معناه: معاذ الله" ومثله عن الحسن(١٧٤).

وحاش: كلمة يستثنى بها. وحاش لله: أي براءة لله ومعاذ الله(١٧٥).

وذكر أبو البقاء أن حاشا لله بمعنى: معاذ الله، منصوب بأن يكون قائماً مقام المصدر، ويجوز أن يكون مصدراً معناه: أبرئ تبرئةً، ورواية الأصمعي عن نافع بإثبات الألف بعد الشين، وهي الأصل لأنها من المحاشاة وهي التخلية والتبعيد. وتستعمل للاستثناء فيما ينزه عن المستثنى فيه(١٧٦).

وقال النسفي: "حاشا: كلمة تفيد معنى التنزيه...، فمعنى حاشا لله: براءة الله، وتنزيه الله...، والمعنى: تنزيه الله من صفات العجز"(١٧٧).

وذكر نحواً من ذلك: الزمخشري، والبيضاوي، والشهاب(١٧٨).

وذكر ابن جرير – وتبعه على ذلك السعدي – أن معناها: تنزيه الله عموماً عن كل نقص(١٧٩).

أما القاسمي فنص على أن معناها: تنزيه الله عن النقص والعجز(١٨٠).

أما الكمال الذي تضمنه هذا النفي فهو الكمال المطلق من جميع الوجوه.

*		*		*

---

(١٧٤) تفسير الطبري (٢٠٦/٧).

(١٧٥) الصحاح (٢٣١٤/٦)، تاج العروس (٣٢٤/١٩).

(١٧٦) الكليات (ص ٤٠٣) – بتصرف –.

(١٧٧) تفسير النسفي (٣١٥/٢).

(١٧٨) انظر: الكشاف (٢٥٣/٢)، تفسير البيضاوي (٢٩٩/٥)، حاشية الشهاب على البيضاوي (٥/ ٢٩٩)، اللباب (٨٥/١١).

(١٧٩) انظر: تفسير ابن جرير (٢٠٦/٧)، تفسير السعدي (ص ٣٩٧).

(١٨٠) محاسن التأويل (٣٦٢/٤).

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٨].

ومما ورد في معنى الآية:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران: ٥].

قال ابن جرير في معنى الآية: :"وما يخفى عليك يا ربنا من شيء يكون في الأرض ولا في السماء، لأن ذلك كله ظاهر لك متجل باد، لأنك مدبره وخالقه، فكيف يخفى عليك"(١٨١).

فهذا النفي تضمن إثبات كمال العلم لله تعالى.

وصفة العلم من الصفات الذاتية التي جاء في إثباتها الأدلة الكثيرة المتنوعة، كإثبات علمه بكل ما يخفى، قال تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴾ [طه: ٧]. وقال سبحانه: ﴿ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ﴾ [الأعلى: ٧]، وقال: ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾ [النمل: ٢٥]، وقال سبحانه: ﴿ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾ [القصص: ٦٩].

وكإخباره بعلمه الغيب والشهادة، قال سبحانه: ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ [التوبة: ٩٤].

وكإثبات إحاطته علماً بخلقه، قال سبحانه: ﴿ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ﴾ [الطلاق: ١٢].

وكإثبات علمه بدقائق الأمور، قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا

(١٨١) تفسير ابن جرير (٤٦٦/٧).

يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

إضافة إلى النصوص الدالة على اسمه ﴿ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ .

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ ﴾ [الإسراء: ١١١].

ومثله قوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ ﴾ [الفرقان: ٢].

قال ابن جرير عن الآية: "ولم يكن له شريك في الملك فيكون عاجزاً ذا حاجة إلى معونة غيره ضعيفاً، ولا يكون إلهاً من يكون محتاجاً إلى معين على ما حاول، ولم يكن منفرداً بالملك والسلطان"(١٨٢).

وقال ابن كثير: "بل هو الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد"(١٨٣).

وقال أبو حفص الدمشقي: "من الصفات السلبية: قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ ﴾ والسبب في اعتبار هذه الصفة: أنه لو كان له شريك، فلا يعرف كونه مستحقاً للحمد والشكر"(١٨٤).

إذن هذا النفي تضمن كمال التوحيد لله، وانفراده بالملك والسلطان، إضافة إلى كمال القوة والقدرة.

* * *

(١٨٢) تفسير ابن جرير (١٧٢/٨).
(١٨٣) تفسير ابن كثير (٩٥/٩).
(١٨٤) اللباب (٤١٣/١٢).

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ﴾ [الإسراء: ١١١].

قال ابن جرير في معنى الآية: "ولم يكن له حليف حالفه من الذل الذي به؛ لأن من كان ذا حاجة إلى نصرة غيره فذليل مهين، ولا يكون من كان ذليلاً مهيناً يحتاج إلى ناصر إلهاً يطاع. – ونقل عن مجاهد "لم يحالف أحداً، ولا يبتغي نصر أحد"(١٨٥).

وقال ابن كثير: "ليس بذليل فيحتاج أن يكون له ولي أو وزير أو مشير، بل هو تعالى خالق الأشياء وحده، لا شريك له، ومدبرها ومقدرها بمشيئته وحده لا شريك له"(١٨٦).

وقال أبو حيان: "لا ذل يوجد في حقه فيكون له ولي ينتصر به منه، فالذل والولي الذي يكون اتخاذه بسببه منتفيان"(١٨٧).

فهذا النفي تضمن إثبات كمال القوة والقدرة والعزة، وتمام الملك والغنى سبحانه وتعالى.

وقد ذكر أبو حفص الدمشقي أنه لو جاز عليه ولي من الذل لم يجب شكره، لتجويز أن يكون غيره حمله على ذلك الإنعام(١٨٨).

وقال ابن القيم: "لم ينف الولي نفياً عاماً مطلقاً، بل نفى أن يكون له ولي من الذل... والموالاة المنفية موالاة حاجة وذل"(١٨٩).

* * *

(١٨٥) تفسير ابن جرير (١٧٢/٨).
(١٨٦) تفسير ابن كثير (٩٦/٩).
(١٨٧) البحر المحيط (٨٨/٦).
(١٨٨) اللباب (٤١٣/١٢).
(١٨٩) مفتاح دار السعادة (١٦٢/١). وانظر: بدائع الفوائد (١٣٦/٢).

﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف: ٥١].

قال ابن جرير في معنى الآية: "وما كنت متخذ من لا يهدي إلى الحق، ولكنه يضل، فمن تبعه يحور به عن قصد السبيل أعواناً وأنصاراً، وهو من قولهم: فلان يعضد فلاناً إذا كان يقويه"(١٩٠).

وقال ابن كثير: "أنا المستقل بخلق الأشياء كلها، ومدبرها ومقدرها وحدي، ليس معي في ذلك شريك ولا وزير، ولا مشير ولا نظير"(١٩١).

وقال ابن الجوزي: "عضداً، أي: أنصاراً وأعواناً. والعضد يستعمل كثيراً في معنى العون، لأنه قوام اليد، قال الزجاج: الاعتضاد: التقوي وطلب المعونة، يقال: اعتضدت بفلان، أي استعنت به"(١٩٢).

وقد تضمن هذا النفي إثبات كمال القوة والقدرة له سبحانه.

* * *

(١٩٠) تفسير ابن جرير (٢٣٨/٨).
(١٩١) تفسير ابن كثير (١٥٦/٩).
(١٩٢) زاد المسير (١١٥/٥).

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤].

ومما ورد في معناها:

قولـــــه تعالى:﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢].

قال ابن جرير في معنى الآية: "ولم يكن ربك ذا نسيان، فيتأخر نزولي إليك بنسيانه إياك، بل هو الذي لا يعزب عنه شيء في السموات ولا في الأرض، فتبارك وتعالى، ولكنه أعلم بما يدبر ويقضي في خلقه جل ثناؤه"(١٩٣).

ونقل ابن الجوزي عن الزجَّاج قوله: "أنه عالم بما كان ويكون لا ينسى شيئاً"(١٩٤).

وقال البيضاوي: "وما كان ربك ناسياً لأعمال العاملين وما وعد لهم من الثواب عليها"(١٩٥).

قال الشهاب معلقاً على كلام البيضاوي: "المنفي أصل النسيان لا زيادته حتى يقتضي ثبوت أصله"(١٩٦).

ومما ورد في نفي النسيان عن الله تعالى من صحيح السنة: حديث أبي الدرداء – رضي الله عنه – قال – يرفعه – : "ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو في عافية، فاقبلوا من الله عافيته، فإن

---

(١٩٣) تفسير ابن جرير (٣٦/٨).
(١٩٤) زاد المسير (٢٥١/٥).
(١٩٥) تفسير البيضاوي (٢٩٤/٦).
(١٩٦) حاشية الشهاب على البيضاوي (٢٩٤/٦).

الله لم يكن لينسى شيئاً" ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾(١٩٧).

وعن أبي ثعلبة الخشني – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها – وذكر الحديث إلى أن قال: – وسكت عن أشياء رخصة لكم ليس بنسيان فلا تبحثوا عنها"(١٩٨).

وأما ما يتعلق بالكمال الذي تضمنه هذا النفي، فقد تضمن إثبات صفة العلم لله تعالى، إذ كمال العلم يتنافى مع الوصف بالنسيان، وأيضاً تضمن إثبات صفة الحفظ.

قال ابن سِيدَه: "الحفظ نقيض النسيان" وهو التعاهد وقلة الغفلة(١٩٩).

وقد تقدم الكلام عن صفة العلم، أما الحفظ، فإن من أسمائه سبحانه "الحفيظ" وموصوف بالحفظ.

قال سبحانه: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [هود: ٥٧].

وقال سبحانه: ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ: ٢١].

وقال سبحانه: ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ﴾ [يوسف: ٦٤].

وقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [الشورى: ٦].

قال أبو القاسم الزجاجي: "الحفيظ، فعيل بمعنى فاعل... تقول: حفظت الشيء أحفظه حفظاً فأنا حافظ وهو محفوظ إذا لم تهمله فيضيع، وحفظت الشيء

---

(١٩٧) رواه الدارقطني (١٣٧/٢) رقم ١٢، والبزار (٧٨/١) رقم ١٢٣، والبيهقي (١٢/١٠)، والحاكم (٣٧٥/٢) وصححه ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في المجمع (١٧٦/١) وقال: رواه البزار والطبراني في الكبير وإسناده حسن، ورجاله موثقون اهـ.

(١٩٨) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٢/١٠)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (ص ٩)، وحسن النووي إسناده في الأربعين (ص ٦٠)، وفي الأذكار (ص ٣٥٣)، ونقل ابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص ٢٤٢) عن الحافظ السمعاني تحسينه، وذكره الهيثمي في المجمع (١٧١/١) وقال: رجاله رجال الصحيح اهـ.

(١٩٩) المحكم (٢١٢/٣).

خلاف نسيته، فالله عز وجل حافظ لعباده يكلؤهم بطوله وإنعامه، وهو حفيظ لهم، وحفيظ لأفعالهم عليهم، لا يعزب عنه تبارك وتعالى"(٢٠٠).

وقال القرطبي: "فهذا الاسم يكون من أوصاف الذات ومن أوصاف الفعل، فإذا كان من أوصاف الذات فيرجع إلى معنى العليم، لأنه يحفظ بعلمه جميع المعلومات فلا يغيب عنه شيء منها، كما يقال: فلان يحفظ القرآن أي: هو حاضر في قلبه، وفي مقابلة هذا الحفظ: النسيان، وعلى هذا خرج قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ وقوله: ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾"(٢٠١).

*		*		*

(٢٠٠) اشتقاق أسماء الله (ص ١٤٦).

(٢٠١) الأسنى (١/٤٠١).

﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [مريم: ٦٥].

قال ابن جرير فيما نقله عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج: "مثلاً وشبيهاً وشريكاً". ونقل عن قتادة قوله: "لا سمي لله ولا عدل، كل خلق يقر له ويعترف أنه خالقه"(٢٠٢).

وهذا استفهام بمعنى النفي(٢٠٣).

والسمي في اللغة: النظير والمثل، قال الشاعر:

وكم من سمي ليس مثل سميه من الدهر إلا اعتاد عيني واشل(٢٠٤)

وهذا النفي الوارد في هذه الآية من أنواع النفي المجمل، بحيث تضمن إثبات الكمال المطلق لله تعالى، ونفى عنه كل نقص وعيب.

يقول ابن القيم في ذلك: "فهذا الرب الذي له هذا الجند العظيم، ولا يتنزلون إلا بأمره، وهو المالك ما بين أيديهم وما خلفهم وما بين ذلك، وهو الذي كملت قدرته وسلطانه وملكه، وكمل علمه فلا ينسى شيئاً أبداً، وهو القائم بتدبير السموات والأرض وما بينهما كما هو الخالق لذلك كله، وهو ربه وملكه، فهذا الرب الذي لا سمي له لتفرده بكمال هذه الصفات والأفعال، فأما من لا صفة له ولا فعل، ولا حقائق لأسمائه، إن هي إلا ألفاظ فارغة من المعاني، فالعدم سمي له..." (٢٠٥).

---

(٢٠٢) تفسير ابن جرير (٣٦١/٨). وانظر: زاد المسير (٢٥١/٥)، حاشية الشهاب (٢٩٥/٦).

(٢٠٣) مغني اللبيب (ص ٤٥٩).

(٢٠٤) انظر: لسان العرب (٤٠٣/١٤).

(٢٠٥) الصواعق المرسلة (٢١٢/١).

وقال أيضاً: "وذلك نفي عن المخلوق أن يكون مشابهاً للخالق ومماثلاً له، بحيث يستحق العبادة والتعظيم، ولم يقل سبحانه: (هل تعلمه سمياً، أو مشبهاً لغيره) فإن هذا لم يقله أحد، بل المشركون المشبهون جعلوا بعض المخلوقات مشابهاً له، مسامياً وندًّا وعدلاً، فأنكر عليهم هذا التشبيه والتمثيل"(٢٠٦).

* * *

(٢٠٦) إغاثة اللهفان (٢/٢٣٠).

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠].

ومما ورد في معنى هذه الآية:

قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال ابن جرير حول معنى الآية: "ولا يحيط خلقه به علماً، ومعنى الكلام: أنه محيط بعباده علماً، ولا يحيط عباده به علماً"(٢٠٧).

وقال البيضاوي: "ولا يحيط علمهم بمعلوماته، وقيل بذاته"(٢٠٨).

وذكر ابن كثير أن قوله: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ كقوله: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾(٢٠٩).

وهذا النفي تضمن كمال عظمته وجلاله وقدره، فإن العظيم جليل القدر هو الذي يسع الناس علماً وتعجز العقول عن الإحاطة به.

* * *

(٢٠٧) تفسير ابن جرير (٨/٤٦٠).
(٢٠٨) تفسر البيضاوي (٦/٣٩٥).
(٢٠٩) تفسير ابن كثير (٩/٣٧٠).

﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

قال ابن جرير: "لا سائل يسأل رب العرش عن الذي يفعل بخلقه من تصريفهم فيما شاء... من حكمه فيهم؛ لأنهم خلقه وعبيده، وجميعهم في ملكه وسلطانه، والحكم حكمه، والقضاء قضاؤه، لا شيء فوقه يسأله عما يفعل..." (٢١٠).

وذكر ابن كثير أن معناها "هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يعترض عليه أحد؛ لعظمته وجلاله وكبريائه وعلمه وحكمته وعدله ولطفه"(٢١١).

وقال ابن الجوزي: ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ عما يحكم في عباده من هدي وإضلال، وإعزاز وإذلال، لأنه المالك للخلق"(٢١٢).

فهذا النفي تضمن إثبات مجموعة من صفات الكمال منها: تمام الملك والحكم والعظمة والجلال والكبرياء والعلم والعدل والحكمة واللطف؛ لأن من اتصف بهذه الصفات لا يسأل عما يفعله.

* * *

(٢١٠) تفسير ابن جرير (١٥/٩).
(٢١١) تفسير ابن كثير (٣٩٧/٩).
(٢١٢) زاد المسير (٣٤٥/٥).

﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٧].

قال ابن كثير: "لا يتقدمون بين يديه بأمر، ولا يخالفونه فيما أمر به، بل يبادرون إلى فعله، وهو تعالى علمه محيط بهم فلا يخفى عليه منهم خافية"(٢١٣).

وقال أبو حيان: "يتبعون قوله، ولا يقولون شيئاً حتى يقوله، فلا يسبق قولهم قوله"(٢١٤).

وهذا النفي أيضاً تضمن إثبات تمام الملك وكمال العظمة والعلم، لأن من اتصف بذلك لا يتقدم أحد بين يديه بأمر أو قول، ولا يخالفه فيه.

* * *

(٢١٣) تفسير ابن كثير (٣٩٨/٩).

(٢١٤) البحر المحيط (٢٨٥/٦).

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

قال ابن جرير: "وتوكل يا محمد على الذي له الحياة الدائمة التي لا موت معها"(٢١٥).

وقال ابن كثير: "الله الحي الذي لا يموت أبداً الذي هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، الدائم الباقي السرمدي الأبدي، الحي القيوم، رب كل شيء ومليكه"(٢١٦).

وقال أبو حيان: "وصف تعالى نفسه بالصفة التي تقتضي التوكل في قوله: ﴿ ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ لأن هذا المعنى يختص به تعالى دون كل حي"(٢١٧).

ومما ورد في معنى الآية ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – "اللهم لك أسلمت، وبك آمنت... أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون"(٢١٨).

وقد تضمن هذا النفي إثبات كمال الحياة والبقاء لله تعالى، إذ الحياة الكاملة الأبدية هي التي لا يلحقها موت ولا فناء، – وتقدم ذكر الأدلة على إثبات حياته سبحانه عند قوله: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ –.

قال قوام السنة: "معنى الباقي: الدائم، الموصوف بالبقاء، الذي لا يستولي عليه الفناء، وليست صفة بقائه ودوامه كبقاء الجنة والنار ودوامهما، وذلك أن بقاءه أبدي أزلي، وبقاء الجنة والنار أبدي غير أزلي، فالأزلي ما لم يزل،

---

(٢١٥) تفسير ابن جرير (٤٠٢/٩).

(٢١٦) تفسير ابن كثير (٣١٦/١٠).

(٢١٧) البحر المحيط (٤٦٥/٦).

(٢١٨) رواه مسلم (٢٠٨٦/٤) رقم ٢٧١٧، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل.

والأبدي مالا يزال، والجنة والنار كائنتان بعد أن لم تكونا"(٢١٩).

ومما يدل على ديمومته وبقائه قوله سبحانه: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال جل وعلا: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

قال ابن جرير: "وأما قوله: (الحي) فإنه يعني الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أول له يحد، ولا آخر له يؤمد، إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حيًّا فلحياته أول محدود، وآخر مأمود، ينقطع بانقطاع أمدها، وينقضي بانقضاء غايتها"(٢٢٠).

* * *

(٢١٩) الحجة (١٢٨/١).

(٢٢٠) تفسير ابن جرير (٢١٢/٣).

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴾ [فاطر: ٤٤].

ومما ورد في معنى الآية:

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

قال ابن جرير في معنى الآية: "ولن يعجزنا هؤلاء المشركون بالله من عبدة الآلهة... إذا نحن أردنا هلاكهم، لأن الله لم يكن ليعجزه شيء يريده في السموات ولا في الأرض"(٢٢١).

وذكر ابن سعدي أن الله نفى عن نفسه العجز لكمال علمه وقدرته(٢٢٢).

إذن فهذا النفي تضمن إثبات كمال العلم والقدرة، ولهذا ختمت الآية بإثبات ذلك. وهذا من لوازم عظمته، إذ من كان كذلك كان على كل شيء مقتدراً، كما قال الحليمي في معنى "العظيم": "هو الذي لا يمكن الامتناع عليه بالإطلاق"(٢٢٣).

وقد تقدم الكلام تفصيلاً عن معنى هذه الآية عند قوله: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

* * *

(٢٢١) تفسير ابن جرير (٤٢٣/١٠).
(٢٢٢) انظر: تفسير ابن سعدي (ص ٦٩٢).
(٢٢٣) المنهاج في شعب الإيمان (١٩٥/١).

﴿ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ: ٢٢].

قال ابن جرير في معنى الآية: "وما لله من الآلهة التي يدعون من دونه معين على خلق شيء من ذلك، ولا على حفظه"(٢٢٤).

وهذا النفي تضمن كمال قدرته، وسعة علمه ونفوذه، وقهره(٢٢٥).

* * *

(٢٢٤) تفسير ابن جرير (٣٧١/١٠). وانظر: البحر المحيط (٢٦٤/٧)، تفسير ابن سعدي (ص ٦٧٨).

(٢٢٥) انظر: حادي الأرواح (ص ٣٦٨).

﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾ [الزمر: ٧].

ومما ورد في معنى الآية قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٩٦].

قال ابن جرير حول معنى الآية: "إن تكفروا بالله أيها الكفار به، فإن الله غني عن إيمانكم وعبادتكم إياه، ولا يرضى لعباده الكفر، بمعنى: ولا يرضى لعباده أن يكفروا به"(٢٢٦).

وقال أبو حفص الدمشقي: "أي وإن كان لا ينفعه إيمانهم ولا يضره كفرهم، إلا أنه لا يرضى بالكفر"(٢٢٧).

وقال ابن سعدي: "ولا يرضى لعباده الكفر لكمال إحسانه بهم، وعلمه أن الكفر يشقيهم شقاوة لا يسعدون بعدها، ولأنه خلقهم لعبادته، فهي الغاية التي خلق لها الخلق فلا يرضى أن يدعوا ما خلقهم لأجله"(٢٢٨).

فهذا النفي تضمن إثبات صفة (الرضى) لله، فإنه سبحانه إذا كان لا يرضى عن بعض الأعمال، أو عن قوم اتصفوا بها، فإنه في مقابل ذلك يسبغ رضاه عمن اتصف بضد ذلك، وتضمن أيضاً إثبات إحسانه ورأفته بالخلق كما أشار السعدي في كلامه الآنف.

* * *

(٢٢٦) تفسير ابن جرير (٦١٧/١٠).
(٢٢٧) اللباب (٤٧٧/١٦).
(٢٢٨) تفسير ابن سعدي (ص ٧١٩).

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

هذه الآية تعتبر من أظهر الأدلة في النفي المتعلق بصفات الله، بل هي العمدة في هذا الباب.

قال ابن جرير في معناها: "فيه وجهان: أحدهما: أن يكون معانه ليس هو كشيء، وأدخل المثل في الكلام توكيداً للكلام إذا اختلف اللفظ به وبالكاف، وهما بمعنى واحد، كما قيل: ما إن نَديتُ بشيء أنت تكرهه. أدخل على (ما) وهي حرف جحد (إن) وهي أيضاً حرف جحد، لاختلاف اللفظ بهما وإن اتفق معناهما توكيداً للكلام، وكما قال أوس بن حجر:

وقتلى كمثل جذوع النخـــــل تغشاهم مسبـــل منهمـــــــر

ومعنى ذلك: كجذوع النخل. وكما قال الآخر:

سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم ما إن كمثلهم في الناس من أحد

والآخر: أن يكون معناه: ليس مثله شيء، وتكون الكاف هي المدخلة في الكلام، كقول الراجز:

وصاليات ككما يُؤثَفَيْن.

فأدخل على الكاف كافاً توكيداً للتشبيه، وكما قال الآخر:

تنفي ألفياديق على الطريـــــق قلّص عن كبيضـــــة في نيق

فأدخل الكاف مع (عن)..." (٢٢٩).

وقال ابن كثير: "ليس كخالق الأزواج كلها شيء، لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له"(٢٣٠).

---

(٢٢٩) تفسير الطبري (١٣٣/١١).

(٢٣٠) تفسير ابن كثير (٢٦١/١٢).

وقال أبو حيان: "تقول العرب: مثلك لا يفعل كذا. يريدون به المخاطب، كأنهم إذا نفوا الوصف عن مثل الشخص، كان نفياً عن الشخص، وهو من باب المبالغة، ومثل الآية قول أوس بن حجر:

**ليس كمثل الفتى زهيـــر		خلق يوازيه في الفضائل**

وقول الآخر:

**وقتلى كمثل جذوع النخيل		تغشاهم مسبل منهمـــــر**

فجرت الآية في ذلك على نهج كلام العرب من إطلاق المثل على نفس الشيء... ثم ضعف قول الطبري أن مثلاً زائدة للتوكيد، ككاف في قوله:

فأصبحت مثل كعصف مأكول.

وذكر أن مثلاً اسم، والأسماء لا تزاد بخلاف الكاف فإنها حرف فتصلح للزيادة.

ثم قال: وقد أجمع المفسرون على أن الكاف والمثل يراد بهما موضوعهما الحقيقي من أن كلاً منها يراد به التشبيه. وذلك محال، لأن فيه إثبات مثل لله تعالى وهو محال"(٢٣١).

وقال أبو حفص الدمشقي: "في هذه الآية أوجه: أشهرها أن الكاف زائدة في خبر ليس، و(شيء) اسمها، والتقدير: ليس شيء مثله. قالوا: ولولا ادعاء زيادتها للزم أن يكون له مثل، وهو محال؛ إذ يصير التقدير على أصالة الكاف: ليس (مثل) مثله شيء، فنفي المماثلة عن مثله، فثبت أن له مثلاً لا مثل لذلك المثل، وهذا محال، تعالى الله عن ذلك.

ثم ذكر القول الثاني: أن (مثل) هي الزائدة. والقول الثالث: أن العرب تقول: (مثلك لا يفعل كذا) يعنون المخاطب نفسه، لأنهم يريدون المبالغة في نفي

---

(٢٣١) البحر المحيط (٤٨٨/٧).

الوصف عن المخاطب، فينفونها في اللفظ عن مثله، فثبت انتفاؤها عنه. الرابع: أن يراد بالمثل الصفة، فيكون المعنى: ليس مثل صفته تعالى شيء"(٢٣٢).

وبنحو هذا ذكر البيضاوي والشهاب(٢٣٣).

وقد ذكر الراغب في مفرداته أن (المثل) أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة وذلك أن الند يقال فيما يشارك في الجوهر فقط، والشِّبه يقال فيما يشارك في الكيفية فقط، والمساوي يقال فيما يشارك في الكمية فقط، والشكل يقال فيما يشارك في القدر والمساحة فقط، والمثل عام في جميع ذلك، ولهذا لما أراد الله تعالى نفي التشبيه من كل وجه خصه بالذكر، فقال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ (٢٣٤).

وقال ابن القيم: "وصف نفسه بأنه ليس كمثله شيء، وأنه لا سمي له، ولا كفؤ له. وهذا يستلزم وصفه بصفات الكمال التي فات بها شبه المخلوقين، واستحق بقيامها أن يكون ليس كمثله شيء، وهكذا كونه ليس له سمي، أي مثيله يساميه في صفاته وأفعاله، ولا من يكافيه فيها... ثم ذكر أن الله موصوف بصفات الكمال، وليس كمثله شيء في ذلك، وأوضح أن النفي لا يتحقق إلا بإثبات صفات الكمال، فإنه مدح له وثناء أثنى به على نفسه. والعدم المحض لا يمدح به أحد ولا يكون كمالاً له، بل هو أنقص النقص، وإنما يكون كمالاً إذا تضمن الإثبات(٢٣٥).

وعلى هذا فإن هذا النفي الوارد في هذه الآية من النفي المجمل الذي تضمن إثبات الكمال المطلق لله سبحانه من جميع الوجوه، إذ منطوق الآية نفي المماثل لله في شيء من صفاته وأفعاله.

---

(٢٣٢) اللباب (١٧٣/١٧).

(٢٣٣) انظر: تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب (٣٣٦/٨)، زاد المسير (ص ١٢٦٥)، إعراب القرآن وبيانه (٢٠/٧)، الجدول في إعراب القرآن (٢٥/١٣).

(٢٣٤) المفردات (ص ٧٥٩).

(٢٣٥) مختصر الصواعق (٢٠٧/١).

كما يستحيل أن يكون هذا النفي من النفي المحض، إذ مساق الآية في مجال التمدح والثناء والكمال، وجميع هذا لا يتأتى إذا لم يتضمن إثباتاً، وذلك أن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض لا يمدح به أحد، فضلاً أن يكون كمالاً.

يقول ابن القيم: "﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ متضمن لإثبات جميع صفات الكمال، على وجه الإجمال، وهذا هو المعقول في نظر الناس وعقولهم، وإذا قالوا: فلان عديم المثل، أو قد أصبح ولا مثل له في الناس، أو ماله شبيه ولا له من يكافيه، وإنما يريدون بذلك أنه تفرد من الصفات والأفعال والمجد بما لم يلحقه فيه غيره، فصار واحداً من الجنس لا مثيل له، ولو أطلقوا عليه ذلك، باعتبار نفي صفاته وأفعاله ومجده، لكان ذلك عندهم غاية الذم والنقص له، فإذا أطلق ذلك في سياق المدح والثناء، لم يشك عاقل في أنه إنما أراد كثرة أوصافه وأفعاله وأسمائه التي لها حقائق تحمل عليها، فهل يقول عاقل لمن لا علم له، ولا قدرة، ولا سمع، ولا بصر...؛ إنه لا شبيه له، ولا مثل له، وإنه وحيد دهره، وفريد عصره، ونسيج وحده، وهل فطر الله الأمم، وأطلق ألسنتهم ولغاتهم إلا على ضد ذلك، وهل كان رب العالمين أهل الثناء والمجد إلا بأوصاف كماله، ونعوت جلاله، وأفعاله، وأسمائه الحسنى"(٢٣٦).

وذكر أيضاً أن قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ من أعظم الأدلة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله، وأنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها وإلا فلو أريد بها نفي الصفات لكان العدم المحض أولى بهذا المدح منه، مع أن جميع العقلاء إنما يفهمون من قول القائل فلان لا مثل له، وليس له نظير ولا شبيه ولا مثل، أنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها، وكلما كثرت أوصافه ونعوته، فات أمثاله، وبعد عن مشابهة أضرابه، فقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ من أدل شيء على كثرة نعوته وصفاته"(٢٣٧).

---

(٢٣٦) الصواعق المرسلة (١٠٢٢/٣ – ١٠٢٣).

(٢٣٧) حادي الأرواح (ص ٢٠٢ – ٢٠٣).

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨].

ومما ورد في معنى الآية قوله سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

قال ابن جرير: "وما مسنا من إعياء أو نصب"(٢٣٨).

وذكر المفسرون أن القادر على خلق السموات والأرض بلا إعياء ولا تعب قادر على (إحياء الموتى من باب أولى)(٢٣٩).

وقال ابن سعدي: "وهذا إخبار منه تعالى عن قدرته العظيمة ومشيئته النافذة التي أوجد بها أعظم المخلوقات"(٢٤٠).

إذن فقد تضمن هذا النفي إثبات كمال القدرة والقوة، ونفاذ المشيئة.

وتقدم الكلام حول هذا عند قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ٤٤].

* * *

(٢٣٨) تفسير ابن جرير (٤٣٤/١١).

(٢٣٩) انظر: زاد المسير (ص ١٣٤٥)، تفسير البيضاوي (٥٨٦/٨)، تفسير ابن كثير (٢٠٣/١٣).

(٢٤٠) تفسير ابن سعدي (ص ٨٠٧).

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤].

معنى الكفؤ في اللغة:

قال ابن قتيبة: "كُفُواً: مثلاً"(٢٤١).

وقال ابن فارس: "الكاف والفاء والهمزة أصلان يدل أحدهما على التساوي في الشيئين... والكفء: المثل"(٢٤٢).

وقال الجوهري: "الكَفِئُ: النظير. وكذلك الكُفْءُ والكُفُؤُ، على وزن (فُعْلٍ وفُعُلٍ) والمصدر الكَفَاءَة بالفتح والمد... وكل شيء ساوى شيئاً حتى يكون مثله فهو مكافيء له"(٢٤٣).

وقال الأصفهاني: "الكفء في المنزلة والقدر، ومنه: المكافأة: المساواة والمقابلة في الفعل"(٢٤٤).

وقال الحلبي: "أي مكافئاً ومساوياً ونظيراً، يقال: فلان يكافيءُ فلاناً أي: يساويه"(٢٤٥).

وقال الزبيدي: "وكِفْؤه بالكسر، وكُفْؤه بالضم والمد أي: مثله، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ لم يكن أحد مثلاً لله جل ذكره"(٢٤٦).

إذن فالكفء في اللغة: هو المثيل والمساوي والنظير.

أما ما يتعلق بمعنى الآية:

---

(٢٤١) تفسير غريب القرآن (ص ٥٤٢).
(٢٤٢) معجم مقاييس اللغة (١٨٩/٥).
(٢٤٣) الصحاح (٦٨/١).
(٢٤٤) المفردات (ص ٧١٨).
(٢٤٥) عمدة الحفاظ (٤٧١/٣).
(٢٤٦) تاج العروس (٢٣٠/١).

قال ابن جرير: "ولم يكن له شبيه ولا مثل – ونقل عن مجاهد قوله: – مثله، والكُفُؤُ والكَفِي والكَفاء في كلام العرب: واحد، وهو المثل والشبه، ومنه قول نابغة بني ذبيان:

لا تقذفني بركن لا كفاء له ولو تأثفك الأعداء بالرفد

يعني: لا كفاء له: لا مثل له"(٢٤٧).

وقال أبو حفص الدمشقي: "الكفو: النظير، كقوله: هذا كفؤ لك: أي نظيرك... ونقل عن ابن الخطيب قوله: أنه تعالى لما أثبت الأحدية والصمدية، ونفى الوالدية والمولودية، ختم السورة بأن شيئاً من الموجودات يمتنع أن يساويه في شيء من صفات الجلال والعظمة"(٢٤٨).

وذكر ابن القيم أن نفي الكفؤ له متضمن لتفرده بكماله، وأنه لا نظير له. وأن قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن ﴾ هو سلب عن المخلوق مكافأته وممائلته للخالق سبحانه، ولم يقل: ولم يكن هو كفواً لأحد، فينفي عن نفسه مشابهته للمخلوق ومكافأته له، إذ كان ذلك أبين وأظهر من أن يحتاج إلى نفيه، وسر ذلك: أن المقصود أن المخلوق لا يمائله سبحانه في شيء من صفاته وخصائصه(٢٤٩).

وذكر ابن سعدي أن نفي الكفو عنه متضمن نفي المكافأة في الأسماء والصفات والأفعال(٢٥٠).

قال ابن القيم: "فإنما لم يكن أحد كفواً له لما كان صمداً كاملاً في صمديته، فلو لم تكن صفات كمال، ونعوت الجلال، ولم يكن له علم، ولا قدرة، ولا حياة... لكان العدم المحض كفواً، فإن هذه الصفات منطبقة على المعدوم"(٢٥١).

---

(٢٤٧) تفسير ابن جرير (٧٤٤/١٢).

(٢٤٨) اللباب (٥٦٥/١٠).

(٢٤٩) بدائع الفوائد (١٥٩/١)، مختصر الصواعق (٢١١/١) – بتصرف –.

(٢٥٠) انظر: تفسير ابن سعدي (ص ٩٣٧).

(٢٥١) الصواعق المرسلة (١٠٢٧/٣).

﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢].

ومما ورد في معنى الآية:

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [فصلت: ٩].

والنِّد في اللغة: بالكسر: المثيل والنظير، والجمع: أنداداً. ويطلق أيضاً على الضد والشبيه(٢٥٢).

قال الراغب: "نِدّ الشيء: مشاركة في جوهره، وذلك ضرب من المماثلة، فإن المثل يقال في أي مشاركة كانت، فكل ند مثل، وليس كل مثل ند"(٢٥٣).

وقال في عمدة الحفاظ: "الأنداد جمع ند، وهو المثل المناوئ، وقال بعضهم: الند أخص من المثل – ثم نقل كلام الراغب – ثم قال: وهذا أولى؛ لأن المطلوب النهي عن أن يجعل لله مثلاً على الإطلاق، لأنه لا يلزم من النهي عن الأخص النهي عن الأعم، وقيل: أنداداً: نظراء، وقيل: أضداداً"(٢٥٤).

وذكر ابن الأثير أن "الأنداد" جمع ند، بالكسر، وهو مثل الشيء الذي يضاده في أموره، وينادّه: أي يخالفه"(٢٥٥).

وقال الطبري في معنى "الأنداد": "الأنداد جمع ند، والند: العِدل والمثل، كما قال حسان بن ثابت:

---

(٢٥٢) انظر: الصحاح (٥٤٣/٢)، تاج العروس (٢٧٦/٥).

(٢٥٣) المفردات (ص ٧٩٦).

(٢٥٤) عمدة الحفاظ (١٧٨/٤).

(٢٥٥) النهاية (٣٥/٥).

أتهجوه ولست له بندٌ فشركما لخيركما الفداء

وكل شيء كان نظيراً لشيء وله شبيهاً فهو له ند، ونقل عن قتادة ومجاهد: أنداد: أي عدلاء"(٢٥٦).

وهذا النفي من النفي المجمل الذي تضمن إثبات الكمال المطلق لله سبحانه وذلك أن منطوق الآية دال على تنزيه الله عن أن يكون.له نظير أو شبيه أو مثيل في شيء من صفاته أو أفعاله أو خصائصه.

* * *

(٢٥٦) تفسير الطبري (١٩٨/١). وانظر: تفسير ابن كثير (٣٠٩/١)، اللباب (٤٢٢/١)، البيضاوي مع حاشية الشهاب (٣٦/٢)، زاد المسير (٤٩/١).

﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٧٤].

الأمثال في اللغة: جمع مثل. قال ابن فارس: "الميم والثاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا أي: نظيره، والمثْل والمثال في معنى واحد"(٢٥٧).

قال الطبري حول معنى الآية: "فلا تمثلوا لله الأمثال، ولا تشبهوا له الأشباه، فإنه لا مثل له ولا شبه. – ونقل عن مجاهد: الأمثال: الأشباه"(٢٥٨).

وقال ابن كثير: "لا تجعلوا له أنداداً وأشباهاً وأمثالاً"(٢٥٩).

وقال الواحدي: "لا تشبهوه بخلقه لأنه لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء"(٢٦٠).

وقال أبو حفص الدمشقي: "فلا تضربوا لله الأمثال، يعني: الأشباه فتشبهونه بخلقه، وتجعلون له شريكاً، فإنه واحد لا مثل له سبحانه وتعالى"(٢٦١).

وذكر الراغب أن في هذه الآية أنه لا يجوز أن نصفه بصفة مما يوصف به البشر إلا ما وصف به نفسه"(٢٦٢).

إذن فهذه الآية من النفي المجمل الذي تضمن إثبات الكمال المطلق لله تعالى، ونفى عنه جميع صفات النقص.

*		*		*

(٢٥٧) تفسير الطبري (٦٢١/٧).
(٢٥٨) تفسير ابن كثير (٣٣٣/٨).
(٢٥٩) تفسير الواحدي – الوسيط – (٧٤/٣). وانظر: زاد المسير (٤٧١/٤).
(٢٦٠) اللباب (١٢٢/١٢). وانظر: البحر المحيط (٥٠١/٥).
(٢٦١) المفردات (ص ١٥٩). وانظر: عمدة الحفاظ (٧٨/٤).
(٢٦٢) معجم مقاييس اللغة (٢٩٦/٥). وانظر: الصحاح (١٨١٦/٥)، تاج العروس (٦٨٠/١٥).

﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ ﴿ سُبْحَانَكَ ﴾.

ورد لفظ "التسبيح" لله تعالى في القرآن الكريم في مواضع متعددة، وبتصاريف متنوعة منها:

يسبح، سبَّح، تسبح، نسبحك، يسبحن، يسبحون، سبحوا، يسبحونه، سبَّح، سبَّحه، سبِّحوا، سبِّحوه، سبحان، سبحانك، سبحانه، نسبحه، تسبيحهم، المسبحون. في نحو نيفاً وتسعين موضعاً.

والتسبيح في اللغة: هو التنزيه والتبرئة من السوء. قال أبو إسحاق الزجاج: "لا اختلاف بين أهل اللغة في معنى التسبيح أنه: التبرئة لله عز وجل"(٢٦٣).

(وسبحان) لم يستعمل في القرآن ولا في السنة إلا مضافاً، ولهذا ذكر بعض أهل اللغة أن سبحان من الألفاظ الملازمة للإضافة(٢٦٤).

والإضافة تكون إلى اسم ظاهر، كقوله تعالى: ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقوله سبحانه: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ١]، وقوله: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّى ﴾ [الإسراء: ٩٣]. وتضاف إلى اسم مضمر، كقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ ﴾ [البقرة: ٣٢]، وقوله: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ [البقرة: ١١٦].

وقد روي في حديث مرسل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: سئل عن التسبيح؟ فقال: "هو إنزاهه عن السوء"(٢٦٥).

---

(٢٦٣) معاني القرآن وإعرابه (٢٧٨/٢). وانظر: تهذيب اللغة (٣٣٨/٤)، معجم مقاييس اللغة (١٢٥/٣)، الصحاح (٣٧٢/١)، لسان العرب (٤٧١/٢).

(٢٦٤) انظر: الكافية الشافية وشرحها (٩٥٨/٢).

(٢٦٥) رواه ابن جرير في تفسيره (٣/٨)، والطبراني في كتاب الدعاء (١٥٩١/٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٠٤/١)، ورواته ثقات لكنه مرسل، وانظر: العلل للدارقطني (٢٠٨/٤)، الفتاوى (٣٤٧/١٣)، فتح الباري (٢٥٧/١).

وورد عن ابن عباس "أن سبحان الله: تنزيه الله"(٢٦٦).

قال شيخ الإسلام – بعد ذكر هذا الأثر – : "وقد جاء عن غير واحد من السلف مثل قول ابن عباس، أنه: تنزيه نفسه من السوء، وروي ذلك في حديث مرسل"(٢٦٧).

وقال الشوكاني عند قوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴾ : "وقيل المراد بالتسبيح هنا معناه الحقيقي، وهو تنزيه الله سبحانه عما لا يليق به في ذاته، وصفاته، وأفعاله"(٢٦٨).

وقال أبو السعود: "التسبيح: تنزيه الله تعالى: وتبعيده اعتقاداً وقولاً وعملاً، عما لا يليق بجنابه سبحانه"(٢٦٩).

وبهذا يتبين أن "التسبيح" في اللغة والشرع يدل على التنزيه، ولهذا قال الخليل: "سبحان الله: تنزيه الله عن كل ما لا ينبغي أن يوصف به"(٢٧٠).

وقد جاء في سياق بعض الآيات دالة على النفي صراحة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ [البقرة: ١١٦]، وقوله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [النحل: ٥٧].

---

(٢٦٦) رواه الطبراني في الدعاء (١٥٩٣/٣).

(٢٦٧) الفتاوى (١٢٥/١٦).

(٢٦٨) فتح القدير (٥٨/٤).

(٢٦٩) تفسير أبي السعود (٨٣/١)، وانظر: تفسير الطبري (٢٥٨/١) (٢٤٠/٩)، تفسير ابن كثير (١٢٤/١٠)، التفسير الكبير (٩٦/١٣)، البحر المحيط (١٩٧/٤)، تفسير الثعالبي (٥٠٢/٢)، عمدة الحفاظ (١٨٩/٢)، المفردات (ص ٣٩٣)، جلاء الأفهام (ص ٩١)، بدائع الفوائد (١٧١/٢)، تفسير ابن سعدي (ص ٢٦٧)، تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (١٥١/٢٩).

(٢٧٠) كتاب العين (١٥١/٣).

"ومما يوضح الصلة بينها وبين النفي أن الجملة المصدرة بها تكون عقب نفي صريح، أو ضمني أحياناً، أو يعطف عليها هي بنفي أيضاً أحياناً أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص: ٦٨]، ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الطور: ٤٣]، ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] "(٢٧١).

أما الكمال الذي تضمنه هذا النفي: فقد تضمن إثبات العصمة لله سبحانه وتعالى، وإثبات الكمال المطلق من جميع الوجوه.

يقول شيخ الإسلام: "والمقصود هنا أن صفات الكمال إنما هي من الأمور الموجودة، والصفات السلبية إنما تكون كمالاً إذا تضمنت أموراً وجودية، ولهذا كان تسبيح الرب يتضمن تنزيهه وتعظيمه جميعاً، فقول العبد (سبحان الله) يتضمن تنزيه الله وبراءته من السوء، وهذا المعنى يتضمن عظمته في نفسه، ليس هو عدماً محضاً لا يتضمن وجوداً، فإن هذا لا مدح فيه ولا تعظيم. وكذلك سائر ما نزه الرب عنه من الشركاء والأولاد وغير ذلك، كقوله تعالى: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ - إلى قوله: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٠ - ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠، ١٨١]، وغير ذلك"(٢٧٢).

---

(٢٧١) أساليب النفي (ص ٢٦١).

(٢٧٢) الفتاوى (١٤٣/١٧)، وانظر أيضاً: درء تعارض العقل والنقل (١٧٧/٦).

قال الزجاج: "التسبيح: تمجيد الله وتنزيهه عن السوء – ثم قال: التسبيح في اللغة: تعظيم الله وتنزيهه عن السوء"(٢٧٣).

وقال الماوردي: "التسبيح: – في كلامهم – التنزيه من السوء على جهة التعظيم"(٢٧٤).

وقال أبو المظفر السمعاني: "سبحان: تنزيه الله من كل سوء، وحقيقته: تعظيم الله بوصف المبالغة، ووصفه بالبراءة من كل نقص"(٢٧٥).

وقال ابن القيم: "التسبيح: ثناء عليه سبحانه يتضمن التعظيم والتنزيه"(٢٧٦).

وقال ابن كثير عند قوله سبحانه: ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]: "أي: أنزه الله وأجله وأعظمه وأقدسه عن أن يكون له شريك أو نظير أو عديل أو نديد، أو ولد أو والد، أو صاحبة، أو وزير، أو مشير، تبارك وتقدس وتنزه وتعالى عن ذلك كله علوًّا كبيراً"(٢٧٧).

* * *

(٢٧٣) معاني القرآن وإعرابه (٢٢/٥، ١٢١).
(٢٧٤) تفسير الماوردي (٩٦/١).
(٢٧٥) تفسر القرآن (٢١٢/٣).
(٢٧٦) المنار المنيف (ص ٣٦).
(٢٧٧) تفسير ابن كثير (٩٢/٨).

ومما يلحق بلفظ ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ في دلالتها لفظ: ﴿ تَعَالَىٰ ﴾ .

تعالى: على وزن (تفاعل)، ومصدره (التعالي)، وهو تفاعل من العلو، أي: ترفع وارتفع، ومنه قولهم: تعالى النهار إذا علا وارتفع(٢٧٨).

وقد جاء هذا الفعل مسنداً إلى الله عز وجل في ثلاثة عشر موضعاً في القرآن، سواء كان الإسناد إلى اسم ظاهر، أو إلى ضمير مقدر(٢٧٩).

ومعنى ﴿ تَعَالَىٰ ﴾ : تنزه عما لا يليق بجلاله وعظمته وكماله، يقول ابن جرير عند قوله تعالى: ﴿ فَتَعَالَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾:"فتنزيه من الله تبارك وتعالى نفسه، وتعظيم لها عما يقول فيه المبطلون، ويدعون معه من الآلهة والأوثان"(٢٨٠).

وقال الخطابي: "المتعالي: هو المتنزه عن صفات المخلوقين، تعالى أن يوصف بها، وارتفع عن مساواتهم في شيء منها، وقد يكون بمعنى العالي فوق خلقه"(٢٨١).

إذن فالكمال الذي تضمنه هذا النفي هو: كمال العظمة والجلال والصفات والأفعال.

* * *

(٢٧٨) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٠)، لسان العرب (٨٣/١٥).

(٢٧٩) والمواضع هي: الأنعام آية (١٠٠)، الأعراف آية (١٩٠)، يونس آية (١٨)، النحل آية (١)، (٣)، الإسراء آية (٤٣)، طه آية (١١٤)، المؤمنون آية (٩٢)، (١١٦)، النحل آية (٦٣)، القصص آية (٦٨)، الروم (٤٠)، الزمر آية (٦٧).

(٢٨٠) تفسير الطبري (١٤٨/٦).

(٢٨١) شأن الدعاء (ص ٨٩).

فهرس الآيات المتضمنة للنفي

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾	البقرة	٢٦	١٥٠
﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	البقرة	٧٤	١٥٥
﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾	البقرة	١٧٤	١٥٩
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾	البقرة	١٩٠	١٦١
﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾	البقرة	٢٥٥	١٦٥
﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ ﴾	البقرة	٢٥٥	١٦٧
﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾	البقرة	٢٥٥	١٦٩
﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾	البقرة	٢٥٥	١٧٠
﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	البقرة	٢٥٨	١٧٣
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾	آل عمران	٩	١٧٧
﴿ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾	آل عمران	٧٧	١٧٩
﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	آل عمران	١٠٨	١٨١
﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	آل عمران	١٧١	١٨٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾	النساء	٤٨	١٨٥

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾	النساء	١٧١	١٨٧
﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾	الأنعام	١٤	١٩٠
﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾	الأنعام	١٠٣	١٩١
﴿ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	الأعراف	٥٤	١٩٤
﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴾	يونس	٦١	١٩٦
﴿ حَٰشَ لِلَّهِ ﴾ ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾	يوسف	٣١، ٢٣	١٩٧
﴿ وَمَا تُخْفِى عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾	إبراهيم	٣٨	١٩٨
﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾	الإسراء	١١١	٢٠٠
﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ﴾	الإسراء	١١١	٢٠١
﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾	الكهف	٥١	٢٠٢
﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾	مريم	٦٤	٢٠٣
﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾	مريم	٦٥	٢٠٦
﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾	طه	١١٠	٢٠٨
﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾	الأنبياء	٢٣	٢٠٩
﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ ﴾	الأنبياء	٢٧	٢١٠
﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾	الفرقان	٥٨	٢١١

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٍ ﴾	فاطر	٤٤	٢١٣
﴿ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴾	سبأ	٢٢	٢١٤
﴿ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ ﴾	الزمر	٧	٢١٥
﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾	الشورى	١١	٢١٦
﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴾	ق	٣٨	٢٢٠
﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾	الإخلاص	٤	٢٢١
﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا ﴾	البقرة	٢٢	٢٢٣
﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾	النحل	٧٤	٢٢٥
﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ ﴾ ﴿ سُبۡحَٰنَكَ ﴾			٢٢٦
﴿ تَعَٰلَىٰ ﴾			٢٣٠

فهرس المراجع

١. الإتقان للسيوطي، ط الثالثة، ١٣٧٠هـ.

٢. الأذكار للنووي، ط ١٣٩١هـ، مطبعة الملاح.

٣. الأربعين النووية، ط الثانية، ١٣٩٠هـ،مطبعة السعادة.

٤. أساليب النفي لمحمد البقري، ط ١٩٨٩م، المكتب العربي الحديث.

٥. الأسماء والصفات للبيهقي، ت/ عماد الدين حيدر، ط الأولى، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي.

٦. الأسنى للقرطبي، ت/ مجموعة من العلماء، ط الأولى، ١٤١٦هـ، دار الصحابة.

٧. اشتقاق أسماء الله للزجاج، ت/ أحمد الدقاق، ط الخامسة، ١٤٠٦هـ، دار المأمون.

٨. الاعتقاد للبيهقي، تصحيح أحمد مرسي، ط المطبعة العربية.

٩. إعراب القرآن وبيانه، لأبي جعفر النحاس: ت/ زهير غازي، ط ١٣٩٧هـ، العاني.

١٠. إغاثة اللهفان لابن القيم، ت/ محمد حامد الفقي، الناشر دار المعرفة.

١١. الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل، لمحمد الجلنيد، ط ١٣٩٣هـ، الهيئة العامة.

١٢. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ت/ عادل عبدالموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤١٣هـ.

١٣. بدائع التفسير – الجامع لتفسير ابن القيم، جمع يسري السيد، دار ابن الجوزي، ط الأولى، ١٤١٤هـ.

١٤. بدائع الفوائد، تصحيح وتعليق إدارة الطباعة المنيرية، الناشر دار الكتب العربية، بيروت.

١٥. البرهان معجم مصطلحات النحو العربي.

١٦. البرهان، للزركشي ط ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية.

١٧. تاج العروس للزبيدي، ت/ مصطفى حجازي، ط الثانية، ١٤٠٨هـ، مطبعة حكومة الكويت.

١٨. التدميرية لشيخ الإسلام، ت/ محمد السعوي، ط الأولى ١٤٠٥هـ، شركة العبيكان.

١٩. التعريفات للجرجاني، ت/ إبراهيم الأنباري، ط الثانية، ١٤١٣هـ، دار الكتاب العربي.

٢٠. تفسير ابن سعدي – تفسير كلام المنان، ت/ عبدالرحمن اللويحق، ط الأولى ١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة.

٢١. تفسير ابن عطية – المحرر الوجيز.

٢٢. تفسير ابن كثير، ت/ مصطفى السيد محمد، محمد رشاد، ط الأولى ١٤٢١هـ.

٢٣. تفسير أبي السعود، ط دار إحياء التراث العربي.

٢٤. تفسير البغوي – معالم التنزيل، ت/ محمد النمر وعثمان ضمرية، دار طيبة، ط الرابعة، ١٤١٧هـ.

٢٥. تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٦. تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (بدون طبعة ولا دار نشر).

٢٧. تفسير الثعالبي، ت/ عادل عبدالموجود، وعلي معوض، دار إحياء التراث، ط الولى، ١٤١٨هـ.

٢٨. تفسير الخازن، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٩. تفسير الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية، ط الثانية ١٤١٨هـ.

٣٠. تفسير العز بن عبدالسلام، ت/ عبدالله الوهيبي، ط الأولى، ١٤١٦هـ.

٣١. تفسير القاسمي – محاسن التأويل ت/ محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث، ط الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٢. التفسير الكبير للرازي، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤١٤هـ.

٣٣. تفسير الماوردي، النكت والعيون، دار الكتب العلمية.

٣٤. تفسير الواحدي، الوسيط.

٣٥. تفسير سورة الإخلاص لشيخ الإسلام.

٣٦. تهذيب اللغة للأزهري، ت/ عبدالسلام هارون، ط دار القومية العربية للطباعة.

٣٧. التوحيد لابن خزعة، ت/ عبدالعزيز الشهوان، ط الأولى، ١٤٠٨هـ، دار الرشد.

٣٨. التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين، لابن سعدي، تصحيح محمد آل بسام، ط الولى، ١٤٢٠هـ، دار عالم الفوائد.

٣٩. التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، ت/ محمد الداية، ط الأولى ١٤١٠هـ، دار الفكر المعاصر.

٤٠. جامع الرسائل لشيخ الإسلام، ت/ محمد رشاد سالم، ط الثانية، ١٤٠٥هـ، مطبعة المدني.

٤١. جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ط الثالثة ١٣٨٢هـ، مصطفى البابي الحلبي.

٤٢. الجدول في إعراب القرآن لمحمود طامي، ط دار الرشيد، بيروت.

٤٣. جلاء الأفهام لابن القيم، ت/ مشهور حسن، ط الأولى، ١٤١٧هـ، دار ابن الجوزي.
٤٤. جواب أهل العلم والإيمان، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٥. حادي الأرواح لابن القيم، ت/ السيد الجميلي، ط الأولى، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي.
٤٦. الحجة لقوام السنة الأصبهاني، ت/ محمد أبو رحيم، ومحمد المدخلي، ط الأولى، ١٤١١ هـ، دار الراية.
٤٧. حلية الأولياء لأبي نعيم، ط الثالثة، ١٤٠٠هـ، دار الكتاب العربي.
٤٨. درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام، ت/ محمد رشاد سالم، مطابع جامعة الإمام، ط الأولى ١٣٩٩هـ.
٤٩. الدعاء للطبراني، ت/ محمد البخاري، ط الأولى ١٤٠٧هـ، دار البشائر.
٥٠. الرد على الجهمية للإمام أحمد، ت/ د. عبدالرحمن عميرة، دار اللواء، ط ١٤٠٢هـ.
٥١. زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، ط الأولى ١٤٢٣هـ.
٥٢. سنن ابن ماجه، ت/ محمد فؤاد عبدالباقي، ط ١٣٩٥هـ، دار إحياء التراث العربي.
٥٣. سنن أبي داود، تعليق عزت الدعاس، ط الأولى، ١٣٨٨هـ، نشر وتوزيع محمد علي السيد، حمص.
٥٤. سنن الترمذي، ت/ أحمد شاكر، الناشر المكتبة الإسلامية.
٥٥. سنن الدارقطني، ت/ السيد عبدالله هاشم، دار المحاسن، القاهرة.
٥٦. السنن الكبرى للبيهقي، دار الفكر.
٥٧. سنن النسائي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.
٥٨. سنن سعيد بن منصور، ت/ سعد الحميد، ط الأولى، ١٤١٤هـ، دار الصميعي.
٥٩. شأن الدعاء للخطابي، ت/ أحمد الدقاق، ط الأولى، ١٤٠٤هـ، دار المأمون.
٦٠. شرح أصول اعتقاد أهل السنة اللالكائي، ت/ أحمد سعد حمدان، ط الأولى، ١٤٠٩هـ، دار طيبة.
٦١. شرح التدميرية للشيخ عبدالرحمن البراك، إعداد سليمان الغصن، ط الأولى، ١٤٢٥هـ، كنوز إشبيليا.
٦٢. شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، ت/ عبدالله التركي وشعيب الأرنؤوط، ط الأولى، ١٤٠٨هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٦٣. شرح القصيدة النونية لابن عيسى، المكتب الإسلامي، ط الثالثة، ١٤٠٦هـ.

٦٤. شرح القصيدة النونية لمحمد خليل هراس، مكتبة دار الباز، ط الثانية، ١٤١٥هـ.

٦٥. شعب الإيمان، للبيهقي، ت/ مختار الندوي، ط الأولى ١٤١٦هـ، الدار السلفية.

٦٦. الصحاح للجوهري، ت/ أحمد عبدالغفور عطار، ط الثانية، ١٣٩٩هـ، دار العلم للملايين.

٦٧. صحيح ابن حبان – ترتيب علاء الدين الفارسي، ت/ أحمد شاكر، ط ١٣٧٢هـ، دار المعارف.

٦٨. صحيح البخاري مع الفتح.

٦٩. صحيح مسلم، ت/ محمد فؤاد عبدالباقي، ط الثانية، ١٣٩٨هـ، دار الفكر.

٧٠. الصواعق المرسلة لابن القيم، ت/ علي دخيل الله، ط الأولى، ١٤٠٨هـ، دار العاصمة.

٧١. العلل للدارقطني، ت/ محفوظ السلفي، ط الأولى، دار طيبة.

٧٢. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للحلبي، ت/ محمود السيد، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، دار السيد للنشر.

٧٣. عمل اليوم والليلة لابن السني، ت/ عبدالرحمن كوثر، ط الأولى، ١٤٠٨هـ، شركة دار الأرقم.

٧٤. العين للخليل بن أحمد، ت/ مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط الأولى، ١٤٠هـ، مؤسسة الأعلمي.

٧٥. غريب القرآن لابن قتيبة، ط ١٣٩٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٦. الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام، تقديم حسين مخلوف، ط دار المعرفة.

٧٧. الفتاوى لشيخ الإسلام، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، ط الأولى، ١٣٨١هـ، مطابع الرياض.

٧٨. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، عبدالعزيز بن باز، نشر وتوزيع دار الإفتاء.

٧٩. الفقيه والمتفقه للبغدادي، ت/ إسماعيل الأنصاري، ط الأولى، مطابع القصيم.

٨٠. في النحو العربي نقد وتوجيه.

٨١. القاموس المحيط للفيروزأبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

٨٢. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، تصحيح المولوي محمد وجيه، ط ١٤٠٤هـ، استانبول.

٨٣. الكليات لأبي البقاء الكفوي، ط الثانية، ١٤١٣هـ، نشر مؤسسة الرسالة.

٨٤. اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص الدمشقي، ت/ عادل عبدالموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤١٩هـ.

٨٥. لسان العرب لابن منظور، ط دار صادق، بيروت.

٨٦. مجمع الزوائد للهيثمي، ط الثالثة، ١٤٠٢هـ، دار الكتاب العربي.

٨٧. محبة الله، لشيخ الإسلام ت/ عبدالله بدران، عبدالرحيم برمو، ط الأولى ١٤١٣هـ، دار الخير.

٨٨. المحرر الوجيز للقاضي ابن عطية، ت/ المجلس العلمي بالمغرب، نشر دار الكتاب العربي.

٨٩. المحكم لابن سيده، ت/ عائشة الشاطبي، ط الأولى، ١٣٧٧هـ، الباب الحلبي.

٩٠. محيط المحيط لبطرس البستاني، مكتبة لبنان.

٩١. مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، اختصار الموصلي، مكتبة الرياض الحديثة.

٩٢. مدارج السالكين لابن القيم، ت/ محمد حامد الفقي، ط ١٣٩٢هـ، دار الكتاب العربي.

٩٣. المستدرك للحاكم، مع تلخيص المستدرك للذهبي، ط مكتبة ومطابع النصر الحديثة.

٩٤. مسند الإمام أحمد، شرح وفهرسة أحمد شاكر، ط الأولى، ١٣٧٧هـ، دار المعارف، مصر.

٩٥. مسند البزار – البحر الزخار – ت/ عادل سعد، ط مكتبة العلوم والحكم.

٩٦. مصنف ابن أبي شيبة، ت/ حبيب الرحمن الأعظمي، ط الثانية، ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي.

٩٧. مصنف عبدالرزاق، ت/ حبيب الرحمن الأعظمي، ط الأولى، ١٣٩٠هـ، نشر المكتب الإسلامي.

٩٨. المعجم الكبير للطبراني، ت/ حمدي السلفي، ط ١٤٠٠هـ، الدار العربية.

٩٩. معجم المصطلحات النحوية والصرفية لمحمد اللبدي، ط الأولى، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة.

١٠٠. المعجم المفصل في اللغة والأدب لإميل يعقوب وميشال عاصي، ط الأولى، ١٩٨٧م، دار الملايين.

١٠١. معجم معاييس اللغة لابن فارس، ت/ عبدالسلام هارون، ط الأولى، ١٣٦٩هـ، عيسى البابي الحلبي.

١٠٢. مغني اللبيب لجمال الدين الأنصاري، ت/ مازن المبارك، ط السادسة، ١٩٨٥م، دار الفكر.

١٠٣. مفتاح دار السعادة لابن القيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٤. مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، ت/ هلموت ريتر، ط الثالثة، دار إحياء التراث.

١٠٥. المنار المنيف لابن القيم، ت/ عبدالفتاح أبو غدة، ط الثانية، ١٤٠٣هـ، مكتبة المطبوعات الإسلامية الإسلامية، حلب.

١٠٦. منهاج السنة لشيخ الإسلام، ت/ محمد رشاد سالم، ط الأولى، ١٤٠٦هـ، جامعة الإمام.

١٠٧. المنهاج في شعب الإيمان للحليمي، ت/ حلمي فوده، ط الأولى، ١٣٩٩هـ، دار الفكر.

١٠٨. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ت/ محمود الطناحي، ط دار إحياء التراث العربي.

١٠٩. الوسيط، تفسير الواحدي، ت/مجموعة من الأساتذة، ط الأولى، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية.